الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميلة

معهد الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

الخطبة البتراء لزياد بن أبيه

دراسة في المضامين والسمات الفنية.

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

شعبة دراسات أدبية تخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالبتين: إشراف دكتور

* سيليا ناصري. إبراهيم لقان

* رايان بلمأمون

السنة الجامعية: 2021/2020

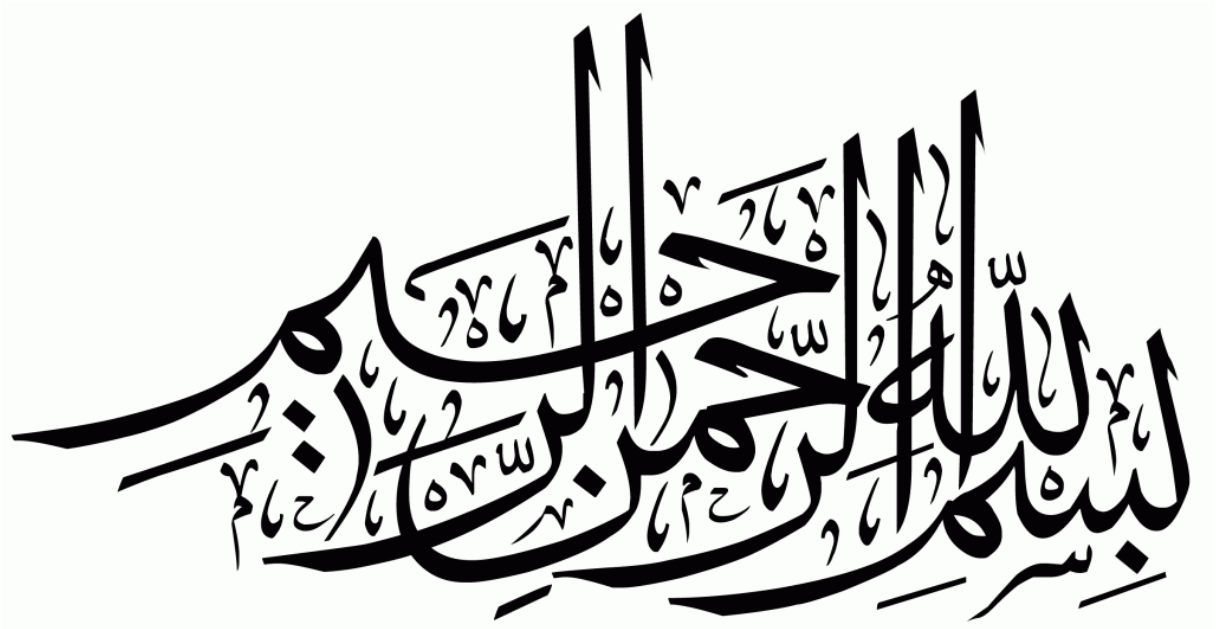
بسم الله الرحمن الرحيم

لا يسعنا بعد هذا العمل البسيط، بعون الله و توفيقه إلا أن نتقدم بجزيل الشكر و عظيم الامتنان، و خالص التقدير و العرفان بالفضل الكبير إلى الأستاذ الكريم:

لقان إبراهيم

الذي أشرف على هذه المذكرة فحرص على قراءة كل كلمة فيها، و مناقشة كل أفكارها مدة إشرافه.

كما نشكر كل من تعاون معنا و ساهم في إخراج هذه المذكرة، و أخصا بالذكري جميع أساتذة قسم الأدب العربي و طلبته الذين قدموا لنا المساعدة من بعيد أو من قريب

إلى الذي أفنى حياته كي أكون كما أنا عليه الآن، إلى الغالي الذي أسعى أن أقدم له دائما الأفضل إلى "أبي"

إلى التي كانت رفيقة دربي و صبورة معي إلى "أمي"

إلى من كانوا عونا في مشواري إخوتي: يوغرطة و عبد الحليم و جمعتني لهم الأيام إلى زميلاتي مروة ، أشواق و نورية.

"سيليا ناصري

مقدمة

تعد الخطابة ضربا من ضروب النثر في الأدب العربي عمادها اللسان والارتجال، فهي من الفنون التي عرفت عند العرب مند العصر الجاهلي، ومن الوسائل الضرورية للتعبير عما يتعلق ببيئتهم و حياتهم العامة، وبقدوم الإسلام تبوأت الخطابة منزلة عالية، خاصة في نشر الدعوة الإسلامية و الوعظ والإرشاد و التعليم .

لكن في العصر الأموي اتسعت موضوعاتها و تطورت شكلا و مضمونا، وعرف في هذا العصر العديد من الخطباء الذين برزوا في هذا الفن و أبدعوا فيه و في مقدمتهم زياد بين أبيه في خطبته البتراء. وعلى هذا الأساس نتطرق لطرح الإشكالية التالية: ما هي الظروف التي أنتجت هذه الخطبة؟ وفيم تمثلت مضامينها ؟ و سماتها الفنية ؟

وقد دفعنا لاختيار هذا البحث عدة عوامل منها: ميلنا لفن النثر ورغبتنا في دراسة فن من فنونه لاعتقادنا أن النثر القديم خاصة فن الخطابة لم يحظ بالدراسة التي حظي بها الشعر، بالإضافة إلى سبب آخر و هو أن الخطابة تعالج قضايا تمت بصلة المجتمع العربي القديم من سياسة اجتماعية ثقافية دينية .

أما عن الدراسات السابقة فهناك القليل من الدراسات التي ركزت على بُنى و أساليب الخطابة فكان التركيز غالبا على النصوص الخطابية و جزالة ألفاظها ، و نذكر من بين هذه الدراسات :

الخطابة العربية في عصرها الذهبي لإحسان النص عام 1963، مطبعة الحلبي ، و هذه الدراسة التي وقفت أمام النص الخطابي فقط ، دون الدخول إلى مضمونه. فن الخطابة لأحمد الكوفي في عام 1972 و تأتي امتدادا لدراسة الدكتور إحسان النص ن و هي عبارة عن دراسة عامة للخطابة. الخطابة العربية، أصولها ، تاريخها في أزهى عصورها عند العرب لمحمد أبو زهرة في عام 1980 ، وقد جمع فيها الخصائص الخطابية ، و تحدث عن أصول الخطابة .

و قد سعت الدراسة لتحقيق جملة من الأهداف أحدها إضافة دراسة إلى المكتبة العربية في هذا المجال .

وقد اعتمدنا في دراسة هذه الخطبة المنهج التاريخي المناسب لمثل هذه الدراسات مركزيين على آلية الوصف و التحليل ، و سطرنا لتحقيق مغزى هذا البحث الخطة التالية :

مقدمة ، مدخل ، فصلان ، خاتمة .

فالمدخل عرضنا فيه جملة من المفاهيم ذات الصلة بالموضوع هي: مفهوم الخطابة لغة واصطلاحا و تطورها عبر العصور الأدب العربي و أنواعها كما عرفنا فيها صاحب الخطبة.

أما الفصل الأول الموسوم بمضامين الخطبة. فكان لدراسة أجزاء الخطبة البتراء من حيث عناصرها الثلاثة: مقدمة ، و عرض ، و خاتمة .

و في الفصل الثاني عنوانه : السمات الفنية. تناولنا قسمين رئيسيين : الأول اللغة والأسلوب ، و الزمان ، و المكان ، و الأفعال و الأسماء .

أما القسم الثاني : فتناولنا الدراسة الفنية للخطبة من خلال استخراج الصور البيانية من استعارة و كناية و مجاز ، وكذلك المحسنات البديعية بنوعها اللفظي و المعنوي .

وقد اتكأنا في كل ذلك على بعض المصادر و المراجع أهمها: كتاب البيان و التبيين " للجاحظ " ، وكتاب الخطابة العربية في عصرها الذهبي، " لإحسان النص "، وفن الخطابة " لمحمد الكوفي " ، و تاريخ الأدب العربي " لشوقي ضيف "

ولا يخلو جهد من صعوبات، ومن بينها افتقار مكتبة المركز إلى أهم المصادر القديمة التي تخص موضوعنا.

و في الأخير فإننا لم نأت على كل ما يمكن أن يقال في هذا الموضوع، و لكننا التزمنا بحدود الخطة التي رسمناها .

و إن كان هناك من كلمة نسوقها بين يدي البحث فهي الإقرار بفضل الأستاذ المشرف الدكتور: إبراهيم لقان الذي نتقدم له بالشكر والعرفان، لأنه لم يبخل بتوجيهاته السديدة و تعليماته القيمة و صبره الواسع فقد كان لنا خير سند في انجاز هذا العمل، كما لا ننسى بالشكر كل من مد لنا يد العون من قريب أو من بعيد في إنجاز هذا البحث.والحمد لله من قبل و من بعد .

مدخل
(مصطلاحات العنوان)

أولا- تعريف الخطابة

ثانيا- ترجمة لزياد بن أبيه

عرف الأدب العربي منذ عصوره أجناسا مختلفة، فكان الشعر ديوان العرب في الجاهلية، إلى حين ظهور جنس نثري أدبي جديد تمثل في الخطابة. وقد ازدهر هذا الفن ازدهارا كبيرا في العصر الإسلامي، ذلك لأن طبيعة الدعوى لنشر الدين تتطلب ذلك، و قد ظهر العديد من الخطباء الذين ضرب بهم المثل في الخطابة و فصاحة اللسان مثل: قسّ بن ساعدة الأياديصيفي و غيرهم.

أولا- تعريف الخطابة

أ-لغة

تعددت التعريفات اللغوية للخطابة بتعدد و تنوع المعاجم القديمة و الحديثة في المادة اللغوية (خ . ط . ب) و ندرج هنا بعض التعريفات، و يتصدرها ابن منظور : " الخطب الشأن أو الأمر صغر و عظم و قيل هو سبب الأمر فـيقال ما خطبك أي ما أمرك ؟ و تقول هذا خطب جليل و خطب يسير و هي من الخطاب و المخاطبة و تفي مراجعة الكلام و الخطبة تأتي من الفعل خطب يخطب ، و خطب الخاطب على المنبر و اختطب خطابة ، و اسم الكلام الخطبة، و بذالك هي الكلام المنثور المسموع ، و هو مثل الرسالة التي لها أول و آخر .[1]

أما الزمخشري : " خاطبه أحسن الخطاب ، و هو المواجهة بالكلام ". [2]

وعند الفيروز آبادي: " فإن الخطابة هي الكلام المنثور المشجع و نحوه ، رجل خطيب : حسن الخطبة ". [3]

من خلال التعريفات اللغوية السابقة، نخلص إلى مجموعة من النتائج و هي: أن معظم اللغويين يتفقون على أن الخطبة هي الكلام المنثور المسجوع الذي يتصل بالبيان و قوة اللفظ غايته الإقناع و التأثير.

---

[1]- جمال الدين ابن منظور، لسان العرب ،ج1، د.ط، دار المكتبة العلمية، بيروت، لبنان ،ص423.

[2] - محمود بن عمر الزمخشري ، أساس البلاغة ،ج1، د.ط، دار النفائس، بيروت، لبنان ،ص 154.

[3]-مجد الدين الفيروز آبادي ،القاموس المحيط ،ج1،مطبعة بولاق ،مصر ،ص65 .

ب- اصطلاحا

أما في الاصطلاح فهناك جملة من التعريفات لهذا الفن الأدبي الذي حظي باهتمام الفلاسفة و الأدباء فوضعوا له عدة مفاهيم تراوحت بين القدم و الحداثة منها:

- تعريف أرسطو للخطابة بقوله :" قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة ." [1]
- أما عند الفارابي فهي:" دليل العلم آذان الإقناع يقع فيها و هي بذلك تعتمد الأسلوب العلمي ." [2]
- وعند الحوفي هي: " فن الكلام الجيد المنتظم في الخطابة و ذلك لأن الخطيب ينتقي الكلام بعناية في الخطابة ." [3]

نرى من خلال التعريفات السابقة للخطابة، أنها تمثل حلقة وصل بين الخطيب و الجمهور فكلما كان الخطيب متمكنا كلما زادت شعبيته و التعريفات التي وضعت للخطابة على أنها كلام منثور بعضه مسّجوع، و ترتبط بفن البلاغة، و هي فن الإقناع و الكلام الجيد ، كما أنها تعد دليلا على العلم ، فهي تعلم الخطيب كيفية التكلم و إلقاء الخطبة .

الخطابة في الأدب العربي القديم

أ- في العصر الجاهلي

عرف العرب الخطابة و هي لون آخر من ألوان التلمس و البيان و ازدهرت على أيدي العرب في الجاهلية باعتبارهم أصحاب فصاحة و بيان و اعتمدوا عليها في المواقف التي تتطلب ذلك ، ثم بلغ الخطيب عندهم مرتبة تفوق مرتبة الشاعر، إذ قال أبو عَمرو ابن العلاء: " فان الشاعر في الجاهلية يقدم على الخطيب لفرط حاجتهم إلى الشعر الذي يقيدهم

---

[1]- ارسطو طاليس :فن الخطابة ،نح:عبد الرحمان بدوب ،دار القلم ،بيروت ،لبنان ،1779،ص9.

[2]- أبي نصر الفارابي ،احصاء العلوم ،تح:عثمان أمين ،دار الفكر العربي ،مصر ، ص7.

[3]- أحمد محمد الحوفي ، فن الخطابة ،ط4،دار النهضة للنشر ،القاهرة ،مصر ،ص5.

و يفضح شأنهم و يعيب من فرسانهم فلم نثر الشعر و الشعراء اتخذوا الشعر مكسبة و رحلوا إلى ....و تسرعوا إلى أعراض الناس ، فصار الخطيب عندهم فوق الشاعر ". [1]

كما يدور موضوع خطبهم حول ظروف حياتهم المختلفة و ما تقلبت فيه من طوارئ و تغيرات و أحداث قليلة ....يقولون خطبهم في العرب و المواعظ و الدين و التعازي و الرحيل فلم تكن موحدة الموضوع و لم تقم على دراسة و نهج معين ". [2]

فقد استقدموا الخطابة لأغراض متنوعة كالمفاخرات و المنافرات بالأحساب و الأنساب و المآثر و المناقب و المجالس و الأسواق .

و من الخطباء العرب و أشهرهم قس بن ساعدة الأيادي ، و عمر بن كلثوم ، و أكتم بن صيفي التميمي و عمر بن معد يكرب الزبيدي ." [3]

ومن أمثلة الخطابة في العصر الجاهلي، هذا النموذج لقس بن ساعدة الأيادي بسوق عكاظ يقول فيه :" أيها الناس اسمعوا و عوا ، من عاش مات و من مات فات ، و كل ما هو آت آت ، ليل داج ، و نهار ساج ، و سماء ذات أبراج .

أنواع الخطابة في العصر الجاهلي

تنقسم الخطب في العصر الجاهلي إلى أنواع حسب الأسباب و المناسبات التي تلقى من أجلها، وأهم أنواع هذه الخطب هي :

- **الخطابة الحفلية** : وهي التي أدركت حظها الأوفر بين أنواع الخطابة برمتها في هذا العصر " وتلقى في محافل التكريم و الاحتفال بمناسبة ". [4] لأن عرب الجاهلية لم يعرفوا ضروبا أخرى للخطابة ، فالخطابة السياسية و الخطابة القضائية و الخطابة الدينية لا نجد لها أثرا في حياتهم ، فليس ثمة ما يدعوهم إلى التفكر و التأمل و قد عكفوا عن عبادة ما تصنعه أيديهم ، كما أن موضوعات الخطابة الدينية لا تكاد تلتئم

---

[1]– أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، البيان و التبيين ،تح عبد السلام ،محمد هارون ،دار النشر مكتبة الجاحظ ،بيروت ،لبنان ،ص28 .

[2]– سالم معوش ،القواعد المعرفية في أدب صدر الإسلام العربية ،د.ر النهضة ،ط1،2000 ،ص280.

[3]– حنا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم) ط1،دار الجيل بيروت ،لبنان ،1986،ص117.

[4]– سالم المعوش ،القواعد المعرفية في أدب صدر الإسلام ،ص281.

مع ما وصل إلينا من خطب ذالك العصر فهي في الأعم و الأغلب لا تعدو أن تكون وصايا اجتماعية " و لهذا لم يعرفوا من ضروب الخطابة إلا ما يتعلق ببيئتهم و حياتهم فشاع هذا النوع من الخطابة عندهم ". [1]

ب- الخطابة في صدر الإسلام

إذا كان الكلام البليغ ميزة العرب الرئيسية ...فإن الخطابة تغدو ميزة منعمة و هي ظاهرة أدبية نمت و تطورت و أخذت أبعادها الأكثر أهمية في الصدر الأول من الإسلام لما لها من تأثير في النفوس و مهارة في الأداء غرض سام من أغراض الدعوة الإسلامية فكانت ضرورية و ظهورها بقوة أبرز الحاجة إليها ، لأنها ظاهرة فنية تؤدي ما لم يؤده سواها من الفنون الأدبية ، فقد " أصبحت أداة الدعوة و اللسان الناطق بالرسالة ، تشرح للناس أسرارها و تبين المثل و القيم التي أتت بها و توضح خفاياها ، و تحبب الناس فيها و تدلهم على الهدى و الرشد و الصلاح و تجادل خصومها و تفند آراء المخالفين لها ". [2]

إذ تعد الخطابة أساسا رئيسا من أسس الدعوة وجوهر الدين الأمر الذي أدى إلى تطورها و شيوعها .

نهجت الخطابة نهجا جديدا في هذا العصر، فقد تعددت موضوعاتها فلم تقتصر على أيام الجمعة و العيدين بل كانت في الحروب و النكاح و الحج كما كانت إصلاح ذات البين و النهي عن المنكر و يقول الخطيب المعاصر الشيخ جعفر الهلالي :"إن الإسلام أضاف إلى الأغراض الخطابية التي كانت أربعة أغراض أخرى هي الـتبلـيغية و الوعـظية و التربوية و السياسية " [3]

---

[1]- إحسان النص ،الخطابة العربية في عصرها الذهبي ،دار المعارف القاهرة ،مصر ،د.ت،ص9.

[2] - محمد عبد المنعم خفاجي ، الحياة الأدبية في صدر الإسلام ، دار الكتب ، بيروت ، لبنان ، 1980 ، ص 118 .

[3] - علي الفتلاوي ، رسالة في فن الإلقاء و الحوار و المناظرات ، ص 11 .-

و من أشهر خطباء هذا العصر " الرسول صلى الله عليه و سلم " الذي كان يعد أخطب الخطباء ومن خطبه خطبة حجة الوداع : " أيها الناس إن دمائكم و أموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ". [1]

و أبو بكر الصديق أيضا من أشهر خطبه التي قالها بعد النزاع بين المهاجرين و الأنصار حول الخلافة بعد وفاة الرسول " أيها الناس نحن المهاجرون أول الناس إسلاما وأكرمهم أحسابا و أوسطهم دالا و أكثر الناس ولادة في العرب ". [2]

أنواع الخطابة في صدر الإسلام

امتاز هذا العصر بكثرة الخطباء البلغاء، وبتنوع الخطابة، فالرسول صلى الله عليه وسلم أشهر الخطباء، يليه الخلفاء الأربعة ومن أنواع الخطابة في هذا العصر:

- **الخطب السياسية :**

سبقت الخطب السياسية كل نوع، و صار فيها طريقا من طرق المجد المعبد و منهاجا مستقيما، و أخذ الإسلام يضعف من فكرة القبيلة و يدعو إلى فكرة الأمة ،الأمر الذي كون للعرب دولة منظمة ، و احتوت موضوعاتها على أغراض جديدة " و ذالك بأخذها وجهة دينية كأداة لنشر هذه الدعوة الدينية " [3]

كما تضمنت الخطابة السياسية نوعا آخر من الخطب و هي الخطابة الانتخابية حيث تكثر الروح العقائدية و يقول الإمام علي كرم الله وجهه :" إن الجهاد باب من أبواب الجنة فمن تركه رغبة عنه ألبسه ثوب الذل ". [4]

و أخيرا خطب النوادي و المجتمعات و ليس لحزب من الأحزاب خطة سياسية أو تأييد فكرة من الأفكار يكون المجتمعون في النوادي الخاصة أو العامة .

-

---

[1] – أحمد الهاشمي ،جواهر الأدب العربي ج1،ط 1 ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ،د.ت ، ص 402.–

[2] – المرجع نفسه ، ص 484 .

[3] شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، صدر الإسلام ، ص 113.–

[4] – الجاحظ ، البيان و التبيين ، ص 35 .

- **الخطب الدينية**

وهي الوعظ الديني، وتتمثل في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و كانت معروفة في العصر الجاهلي و تطورت في الإسلام فكانت تستعمل لهداية المسلمين ووعظهم و إرشادهم إلى ما فيه الخير و الصلاح، و من أهم الخطب خطب الجمعة، خطب العيدين خطب مواسم الحج، وهي خطب أصبحت لها تقاليد وأصول مقررة، و هي من أشهر الخطب الدينية وما نجده " في كتاب نهج البلاغة " لعـلي بن أبي طالب و ما هـو خـلاصة النفس و عصارة الإيمان و التقوى ". [1]

ج –الخطابة في العصر الأموي

واصلت الخطابة سيرها في طريق الازدهار ثم جاء العهد الأموي عهد الأوج السياسي و كان الخلاف قد وقع شديدا في شأن الخلافة و انقسم الناس فرقا و أحزابا ، فكانت الخطابة أمضى سلاح في ميادين الكفاح " كانت الخطابة الأموية امتداد للخطابة التي ازدهرت في أواخر العهد الراشدي و البيئة بيئة اضطراب سياسي و اجتماعي لاسيما بعد مقتل " عثمان بن عفان " فقد اصطرع المسلمون صراعا عنيفا لاسيما بعد .....و الأميون و قامت الزبيرية تطالب بالخلافة ، كما قام الخوارج يكفرون عليا و معاوية و في هذا الصراع كله كانت الخطابة وسيلة وعدة ". [2]

و كانت الخطابة السياسية ابرز أنواع الخطابة في هذا العصر لبروز الأحزاب و تطاحنها في صراع سياسي عنيف، و كان الخطباء من الخلفاء و الولاة و النواب .فاتسمت خطبهم بقوة الشخصية و الاعتزاز بالنفس و بأسلوبها العربي الخالص . [3]

كما ظهرت في هذا العصر خطب الجمع و الحفلات أو المحافل الدينية التي تفصل التعاليم و تدعو إلى الذكر و هناك أيضا الخطب الكلامية تعتمد على الفلسفة و النقاش

---

[1]– محمد الحوفي ، فن الخطابة ، ص 50 .

[2]– حنا الفاخوري ، الجامع في الأدب العربي ، ص 358.

[3]–إميل ناصف ، اروع ما قيل في الخطب ، دار الجيل ، بيروت ، ط1 ، 1999، ص19.

اللاهوتي عن طريق العقل ..." و هناك الخطب الصوفية التي تدعو إلى الزهد و التصوف و التي تتحدث عن أباطيل الدنيا و التصعيد في المقامات ". [1]

وفي هذا العصر شهدوا خطباء كثيرون و ذالك لحاجة الأحزاب إليهم ، منهم معاوية بن أبي سفيان ، و عمر ابن العاص ، و وصال ابن عطاء ، و زياد ابن أبيه و غيرهم كثيرون و نذكر نموذج من خطبة الحجاج بن يوسف في أهل الكوفة يقول " زعمتم أنني ساحر و قد قال الله تعالى ﴿ **وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ**﴾إلى أن يقول بل أنتم يا أهل الشام كما قال الله سبحانه و تعالى ﴿ **وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ(171)إِنَّهُمْ لَهُمْ الْمَنصُورُونَ(172)وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمْ الْغَالِبُونَ** ﴾[2]

أنواع الخطابة في العصر الأموي :

استخدمت الخطابة في العديد من المناسبات الثابتة و المتغيرة و نذكر أبرز أنواع الخطابة التي انتشرت في هذا العصر .

-الخطابة السياسية

كان الخلفاء و ولاتهم في أشد الحاجة إلى أن يبينوا للناس سياستهم ليأخذوا بها كانت نفوس المحكومين في قلق دائم نظرا للفتن و الثورات الموجودة في هذا العصر فكان الخلفاء و أتباعهم يبينون حكمهم و علاقتهم و إحسانهم للناس، و يرعدون و يبرقون و يهددون ينذرون من يخرج أو يحيد على القادة " و قد كان صوت الترهيب أظهر في البلاد التي ثبتت فيها الفتن كالعراك و الشجار و صوت الترغيب أوضح في البلاد التي واعدت و سالمت بل عاونت وناصرت كالشام ". [3]

---

[1]– حنا الفاخوري ، مرجع سابق ، ص395 .

[2]– بشير الشريف البرغوثي ، فن الخطابة العربية ، دار النشر ، عمان الأردن ، 2007 ، ص 194.

[3]– محمد أبو زهرة ، الخطابة أصولها تاريخها في أزهى عصورها عند العرب ، دار الفكر العربي القاهرة ، ط1 ، ص 238،239 .

- **الخطابة الدينية :**

إلى جانب الخطابة السياسية ازدهرت الخطابة الدينية بتعدد فروعها و اختلاف نشأتها فهناك خطب الجمع و المحافل الدينية تفصل التعاليم و تدعو إلى ذكر و التذكر و التقوى .

-خطابة الاستخلاف و الولاية :

ويلقى هذا النوع من الخطابة عند مبايعة خليفة أو تولية والي، ومن أشهرها خطبة معاوية التي يقول فيها:" والله ما وليتها بمحبة علمتها منكم ولا مسرة بولايتي لكني جادلتهم بسيفي هذا مجادلة ". [1]

ثانيا- ترجمة لزياد بن أبيه

-نسبه :

هو المغيرة زياد بن سمية ، المعروف بابن أبيه من أهل الطائف و قيل أنه ولد في السنة الأولى للهجرة و سمي بابن أبيه لما وقع في أبيه من شك، و اختلاف العلماء في نسبه و لعل هذه القضية أكثر غموضا في حياة زياد، و تميز منذ حداثته بالدهاء والشدة و سدادة الرأي و كان ماضي الهمة . [2]

و كان زياد طويلا جميلا فيه حمرة أبيض اللحية مخروطها يكسر إحدى عينيه و في ذلك بقول الفرزدق للحجاج " وقبلك ما أعييت كاسر عينيه زيادا فلم تقدر علي حيائله

و إلى جانب هذه الملامح الجسدية نجد أن شخصية زيد تنطوي على العديد من الخصال التي امتازت بها قبيلة ثقيف في الإسلام منها سعة الحيلة و كان رجلا عاقلا في دنياه يضرب به المثل في حسن السياسة و وفور العقل و حسن الضبط لما يتولاه . [3]

---

[1]- حنا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب العربي ، ص 358 .

[2]- ياقوت عبد الله الحموري ، معجم البلدان ، دار إحياء التراث العربي ،بيروت ، ج 4 ، د.ط ، 1979 ، ص9.

[3]- صالح محمد الرواضية :زياد بن أبيه و دوره في الحياة العامة في صدر الإسلام ،جامعة مؤتة ،ط1994،1 ،ص44-45.

-ولادته :

لم تتفق المصادر المتوفرة في تحديد تاريخ ولادة زياد فقد ذكر ابن سعد أنه ولد عام الفتح، أي سنة ثمان للهجرة و ذكر خليفة بن خياط أن زيادا توفي سنة (53 هـ - 672 م) و هو ابن ثلاث و خمسين سنة، و هذا دليل على أنه ولد عام الهجرة. وعند البلاذري نجد إشارة تفيد أنه ولد قبل الهجرة بنحو اثنتي عشر سنة حيث ذكر و كان موت زياد في شهر رمضان سنة ثلاث و خمسين و هو ابن خمس وستين، أما الطبري فيؤكد أن مولده كان في عام الهجرة فهو يقول :" قيل إن المختار بن عبيد الثقفي ، و زياد بن سمية فيها ولدا ". أي في السنة الأولى للهجرة .[1]

وذكر ابن عبد البر اختلاف القول في تاريخ ولادة زياد فقال واختلف في وقت مولده فقيل ولد عام الهجرة و قيل قبل الهجرة ثم أضاف و قيل بل يوم بدر ، أي في السنة الثانية للهجرة[2].

وإذا أمعنا النظر في اختلاف الروايات التي تناولت مولد زياد نجد أن ما ذكره كل من ابن سعد و البلاذري و ابن عبد البر في إشارته إلى أن زيادا ولد يوم بدر أمور يتعذر قبولها و ذالك لعدم اتفاقها مع ما ورد في المصادر المتوفرة من معلومات عن حياة زياد و الأرجح أنه ولد عام الهجرة يؤيد ذالك ما ذكره كل من عوانه والمدائني. أما عوانه فقد ذكر أن المسلمين حينما فتحوا مدينة الفرات سنة (14 هـ - 635 م) أصابوا غنائم كثيرة و لم يكن بينهم من يجيد الكتابة و الحساب إلا زيادا فولي إليه قسم ذالك المغنم و جعل له كل يوم درهمان ، و هو غلام في رأسه ذوابة ." هذا النص الواضح يشعر أن زيادا لم يكن في سنة (14 هـ -635 م) طفلا في السادسة من عمره وفقا لما ذكره ابن سعد كما انه لم يكن رجلا جاوز الخامسة و العشرين من عمره تبعا لما ورد في رواية البلاذري ، و إنما كان

---

[1]- صالح محمد الرواضية :زياد بن أبيه و دوره في الحياة العامة في صدر الإسلام ،جامعة مؤتة ،ط1،1994

[2]- ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الاصحاب تح ، محمد البجاوي ،مكتبة نهضة القاهرة مصر ،1992 ، ص 523.

غلاما و الغلام اسم يطلق على الولد حيثما ينبت شعر شاربه ، و يكون في العادة بين سن الرابعة عشر و السادسة عشر من عمره ، و لعل زيادا كان في مثل هذا العمر .[1]

يؤيد ذالك ما أورده المدائني من أن زيادا كان بين الذين شخصوا سنة (14 هـ-635 م) مع غنية بن غزوان إلى العراق و أن المسلمين عندما فتحوا الأبلة لم يجدوا قاسما يقسم بينهم فكان زيادا قاسمهم و هو ابن أربع عشر سنة .[2]

كما أن ما ذكر عن خروج زيادا إلى العراق بمعية صهره عتبة بن غزوان و زوجته أزده بنت الحارث ابن كلدة، بحكم الصلة والقرابة التي تربط بينه و بين نفيع و نافع و ليس بصفته مقاتلا في جيش عتبة أمر شعرنا أن زيادا لم يبلغ السن التي كانت تؤهل صاحبها للانضمام إلى صفوف المقاتلة و هي الخامسة عشر .[3]

بل كان صبيا دون مرحلة البلوغ و الصبيان لما يجوز إثباتهم في الديوان بل يعتبرون من جملة " الذراري و الأتباع " .[4]

و لعل تحزب بعض المؤرخين الذين كانوا يضمرون الكره لزياد ، قد دفعهم إلى تعيين تاريخ ولادته إلى ما بعد الهجرة بسنوات عديدة، و ذالك لينكروا إدعاء من يحاول جعله في عداد الصحابة .[5]

أما المكان الذي ولد فيه زياد فتتفق المصادر المتوفرة على أنه ولد في مدينة الطائف تلك المدينة الصغيرة المتحضرة الواقعة على جبل غزوان ، و التي كانت تتألف من محلتين كبيرتين يفصل بينهما واد .[6]

---

[1] -البلاذري : فتوح البلدان تح ، عبد الله أنيس الطباع ، دار و مكتبة الهلال ، بيروت ،لبنان ، د.ط ،1988 ،ص 479

[2] -الطبري : تاريخ الرسل و الملوك ،تح ،محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف بمصر ،ط2 ،ج3،1119،ص597.

[3] - ابن سعد : الطبقات الكبيرة ،تح الدكتور علي محمد عمر ، الناشر مكتبة الخانجي ،القاهرة ،ط1 ،ج5 ،2001 ، ص 351.

[4] -الماوردي :الأحكام السلطانية ،تح ،أحمد جاد ،دار الحديث القاهرة ،مجلد واحد ، د.ط،2006،ص203.

[5] - هنري لامنس : دائرة المعارف الإسلامية ،مادة " زياد ابن أبيه" تأليف منسك و آخرون ،دار الشعب ،مجلد 6 ط2ن1969 ، ص 469.

[6] - أبن سعد : الطبقات الكبير ، ج 7 ، ص 100.

نشأته و حياته

كان للحارث بن كلدة الثقفي طبيب العرب أمة بغي تدعى سمية و عبد رومي يسمى عبيدا، فتزوج العبد من الأمة، فولدت على فراشها زيادا في السنة الأولى من الهجرة، وقد ضربت فيه بعرق أشيب فنشأ أديبا ، و لم يكد أمر المسلمين يتسع و يتسق حتى دلت عليه كفايته فاستكتبه أبو موسى الأشعري والي البصرة قبل عمره فتجلى بلوغه و ظهر حذقه ، ثم انقلبت به الأمور في عهد عمر حتى شاء أن يعزله عن عمله " لا لخيانة ولا لعجز ، و إنما كره أن يحمل على الناس فضل عقله ." على أن عمر كان يستكفيه المهم من أموره فيكفيه غيرها عاجز ولا مقصر و خطب بين يديه يوما في حضرة المهاجرين و الأنصار خطبة لم يسمعوا مثلها فقال عمر بن العاص: " لله در هذا الغلام لو كان أبوه من قريش لساق العرب بعصاه و بلغ إعجاب أبي سفيان به أن إعترف بعد إسلامه لعلبة قريش و فيهم على أن زيادا ابنه ، اشتملت عليه أمه منه و هو مشرك و لكن خوفه من عمر منعه أن يلحقه بنسبه ولما تولى الخلافة أمير المؤمنين علي وجد في زياد اليد المصرفة، و الرأي الجميع و اللسان ....فاستعمله فراض له الأمور، و سد الثغور و أحكم السياسة و حاول معاوية أن يستمليه إليه فأعياه حتى قتل علي، فرأى أن يستخلص موته باستلحاقه بنسب أبيه و ادعائه أخا له فصار يدعى بعد ذالك زياد بن أبي سفيان ولكن كثيرا من الناس لا يعترف له بهذا النسب ثم ولاه معاوية المصرحين و هو أول من جمعا له فكان يقيم في البصرة ستة أشهر و في الكوفة مثلها .[1]

أهم أعماله في العصر الراشدي

يعد زيادا من الأكفاء في دولة بني أمية، وذلك لأنه جمع بين البلاغـة والسـياسة و تدبير الحرب، الأمر الذي مكنه من تدبير أمور رعيته و مملكته بحكمة المدرب العالم .[2]

---

[1]– أحمد حسن الزيات : تاريخ الأدب العربي ، دار النهضة ،مصر للطبع و النشر ، الفجالة ، القاهرة ،مصر ، م1 ، ط 14 ، 2011 ،ص 199–200 .

[2]– البلاذري : انساب الأشراف ، تح :إحسان عباس ، بيروت ، جمعية المستشرقين الألمانية ، ج1،د.ط،1979،ص187

و كان زيادا منذ صباه فطنا متوقد الذهن حازم الرأي صارم العزيمة، إذا اقتنع بالرأي فرضه فهو القائل: " ولا حدثت نفسي بأمر قط، فحدثت به غيري حتى أصير إليه و هو إلى جانب هذا سريع البديهة، حاضر الجواب فما من كلام إلا و له عنده جواب و إضافة إلى كل مقومات رجل الدولة التي عرف بها زيادا فإننا نجده رجل نبيل وسطا في كرمه و جوده يعطي الجزيل و الخطير ما كان عطاؤه حزما و يمنع اليسير و القليل ما كان عطاؤه تضييعا و قد قيل عنه أنه يعطي حتى يقال جواد و يمنع حتى يقال بخيل .[1]

إن الذي بين أيدينا من أخبار التاريخ ليس كافيا لرسم سلسلة متصلة للحياة زياد فالمصادر العربية لا تذكر عن صباه و نشأته الأولى في الطائف شيئا على أن توليه الحساب و الكتاب بالأمراء البصرة منذ تأسيسها و إجابتها لها في هذه السن المبكرة ، أمر يدعو إلى الاعتقاد أن زيادا قد تعلم القراءة و الحساب في كتاب من كتاتيب الطائف في أيام صباه .

وأول ذكر لزياد في المصادر يرد في أمر إسلامه حيث كان يذكر البلاذري نقلا عن المدائني أن زيادا أسلم في الطائف وهو ابن خمس سنين ورواية المدائني هذه يتعذر قبولها لأن إسلام أهل الطائف كان في سنة 630 م ثم إن أبا بكرة أخ زياد لأمه أسلم حينما حاصر المسلمون الطائف في شوال سنة 629 م .[2]

وذكر كل من عوانه و المدائني أن المسلمين بعد أن فرغوا من فتح الأبله و الفرات و ظفروا بغنائم كثيرة، لم يجدوا بينهم من يجيد القراءة والحساب إلا زيادا فوليّ قسم ذالك المغنم وجعل له كل يوم درهمين وهو غلام في رأسه ذؤابة ، ويضيف المدائني أن زيادا كان ابن أربع عشر سنة .[3]

ويفيد ما ذكره عوانه و المدائني أنا زيادا قد رافق جيش عتبة في كل تحركاته و ذلك ليتولى بنفسه قسمة أي مغنم قد يحرزه المسلمون هذا في الوقت الذي لم يكن بينهم من يتقن

---

[1]– المصدر نفسه ، ص 90 .

[2]– ابن سعد ،الطبقات الكبير ، تح علي محمد عمر ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، مصر ، ج7،ط1،2005،ص15.

[3] – الطبري : تاريخ الرسل و الملوك ، تح : محمد أبو الفضل ابراهيم ،دار المعارف بمصر ،ج3،ط2،1119،ص597.

هذه الصناعة سواه، والواقع أن مهمة زياد لم تكن سهلة كما تبدوا فالغنائم التي ظفر بها المسلمون بعد فتح هذه المقاطعات استخدمت لسد مصروفات الحملة التي أخذ عددها بتزايد تدريجيا لما ينضم إلى لوائها العرب .[1]

وقد كان هذا أول عمل قام به زياد ، و هو إن دل على شيء فإنما يدل على قابليته المبكرة لتولي الأعمال الإدارية و قدرته على تحمل مسؤوليتها و القيام عليها قيام المتدرب الجاد على الرغم من حداثة سنه .[2]

ويظهر زيادا قد أتقن مهمة التي افتتح بها حياته الإدارية و أبدع فيها تولاه من الكتابة و قسمة الغنائم و أن عمر (رضي الله عنه) قد بلغه ما قام به زياد، و هو الذي كتب إليه كتابا بالفتح. فأعجب بقدرته و كفاءته و مهما يكن من أمر فإن تعيينه كاتبا من قبل الخليفة الفاروق ، أمر يشير إلى حقائق هامة في حياته ليس أقلها أهمية من ثقة الخليفة به و بقدرته فيما ولاه إياه .

لقد جسد زياد في شخصه كل أنواع الذكاء و المرونة و الحزم المنسوبة للثقفين و معرفته للكتابة و الحساب توضح ذالك بجلاء هذه المعرفة جعلته في مصاف الموظفين الكبار كاتب وأمين على الأموال لدى العديد من الولاة كالمغيرة و أبي موسى الأشعري ...الخ .[3]

وأما علاقة زياد بالخلافة في زمن الخليفة عثمان رضي الله عنه، فلا نجد في المصادر ما يوضح تلك العلاقة علة نحو ما رأينا من قبل في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، و لكن يتبين لنا من خلال الإشارات اليسيرة التي وردت في المصادر أن الخليفة عثمان رضي الله عنه كان أشبه بعمر في إعجابه بشخصية زياد و مقدرته الإدارية المتميزة فيذكر أن عمر كتب إلى أبي موسى الأشعري بأمره بإعطاء الناس أعطياتهم وإرسال ما تبقى

---

[1] –ابن الفقيه : البلدان ، تح :يوسف الهادي ،عالم الكتب بيروت ، ج1،ط1،1996 ، ص188 .

[2]– صالح محمد الرواضية : زياد بن أبيه و دوره في الحياة العامة في صدر الإسلام جامعة مؤتة ،ط1،1994،ص50.

[3]– ابن حبيب : المحبر ، تح : ايليزة ليختن شكيكر ،دار الآفاق الجديدة ،بيروت ،ج1 ،د.ط،1361،ص378.

مع زياد، ففعل و لما كان عثمان كتب إلى أبي موسى بفعل ذالك ففعل و هذا يشعر بالتقدير و المكانة المرموقة التي حظي بها زياد لدى الخليفة عثمان.[1]

زياد في عهد الخليفة علي بن أبي طالب

بعد أن فرغ الإمام علي رضي الله عنه من وقعة الجمل سنة 656م، توجه إلى البصرة و دخلها[2] فجاءه أهلها على راياتهم مبايعين له و لم يكن زياد بين الذين وفدوا عليه كما كان ممن اعتزل يوم الجمل ، ولم يقاتل مع واحد من الفريقين و عندها جاء عبد الرحمن بن أبي بكرة في المستأمنين ليعله بيعته سأله عن عمه زياد و قال له :" و عمك المتربص المقاعد بي ".[3] فأجابه عبد الرحمن موضحا له سبب اعتزال زياد المعركة واختفائه عند البيعة "و الله يا أمير المؤمنين أنه لك لواد ، و إنه على مسرتك لحريص و لكنه بلغني أنه يشتكي ".[4]

ومهما يكن من أمر، فإن سؤال علي رضي الله عنه زياد بهذا القدر من الاهتمام و عيادته له و هو في مرضه، دليل على المكانة السياسية و الإدارية التي تمتع بها زياد و لما استبان علي صدق نية زياد نحوه و استعداده للنصح و أراده أن يوليه البصرة، ولكن زيادا أشار عليه أن يجعل على هذا المصر رجلا من أهل بيته يهابه الناس و يطمئنون إليه و طلب الخليفة الذي تقدم به زياد يفسر لنا ثقته بزياد و بقدرته الإدارية ، و هو صاحب الخبرة الواسعة في إدارة هذا العصر فقد تولاه بالنيابة مرات عديدة ، لكن زياد رأى بعد تحليله للظروف التي تعيشها الدولة الإسلامية عامة حينئذ و ولاية البصرة خاصة أن أمير البصرة يحب أن يكون رجلا من بيت الخلافة، وقد اتفق علي رضي الله عنه و زياد على تأمير عبد الله بن عباس و كان عبد الله قد استشار زياد في قضية كانت مع بعض الناس فأشار

---

[1]– صالح محمد الرواضية : زياد بن أبيه و دوره في الحياة العامة في صدر الإسلام ، ص60 .

[2]– الدينوري : الأخبار الطوال ، تح:عبد المنعم عاصر ، دار احياء الكتاب العربي ، القاهرة ، مصر ،ج1،ط1960،1،ص101 .

[3]– الطبري : تاريخ الرسل و الملوك ، تح : محمد أبو الفضل ابراهيم ،دار المعارف بمصر ،ج4 ، د.ط ،1119،ص 534 .

[4] –المصدر نفسه :ص 543.

عليه أن " أضرب بمن أطاعك بعصاك ". وقول زياد هذا يشعر بميله إلى الشدة وخاصة في الظروف التي تحتمل المدارة أو التهاون في معالجة القضايا التي من شأنها المساس بأمن الولاية أو الدولة على وجه العموم بعد أن تم الأمر لعلي بالبصرة انصرف إلى الكوفة، بينما استمر زياد في عمله لعبد الله بن عباس كما كان يعمل للولاة من قبله و حينما سار ابن عباس إلى صفين استخلف أبا الأسود الدؤلي على الصلاة و استخلف زيادا على الخراج و بيت المال و الديوان فلم يزال على البصرة حتى قدم من صفتين.

وعلى الرغم من محاربة زياد للعصبية القبلية، ومحاولة للقضاء عليها باعتبارها معول هدم في الحياة الاجتماعية، إلا أنه اضطر كما يبدو لاستخدام هذا السلاح العصبية القبلية لتحقيق بعض المقاصد السياسية حيث أخذ زياد يضرب على وتر العصبية الحساس محاولا إثارة الحمية و الحماس في نفوس مجبريه لنصرته على بني تميم الذي لجأ إليهم ابن الحضرمي رسول معاوية .[1]

وكتب زياد إلى علي يخبره بما وقع في البصرة واستجابة ...على أثر قدوم ابن الحضرمي و مبايعيه تميم وجل أهل البصرة له، و قد تغنت العصبية الإدارية بهذا الانتصار بعد مقتل الحضرمي و عودة زياد و بيت المال إلى دار الإمارة و مع ا نعبد الله بن عامر الحضرمي لم ينجح في تحقيق رغبة معاوية و قصده في الاستحواذ على البصرة و إثارة الفتنة فيها إلا انه أفسد من أمرها الشيء الكثير ، فليس قليلا أن يلجأ زياد خليفة الأمير و بيت ماله إلى حي من أحياء العرب ليجبروه ، شأنهم في ذلك شأن العرب في الجاهلية و النتيجة أن أصبح المصر مضطربا بفساد بعض أهله على بعض ،أما الفائدة التي جناها معاوية فقد انتفع بالتجربة و أدرك أن محاربة علي مجاهرة في العراق أمر لم يكن أوانه بعد.[2]

---

[1]– صالح محمد الرواضية : زياد بن أبيه و دوره في الحياة العامة في صدر الإسلام جامعة مؤتة ،ط1994،1،ص66.

[2]– خليفة بن خياط :تاريخ ،تح :أكرم ضياء العمري ،دار القلم مؤسسة الرسالة ،دمشق ،بيروت ،ج1،ط1397،2،ص180.

الفصل الاول
مضامين الخطبة

أولا- بين يدي الخطبة

ثانيا- عناصر الخطبة ومضامينها

أولا- بين يدي الخطبة

"أما بعد فإن الجهالة الجهلاء، و الضلالة العمياء، و الغي الموفي بأهله على النار ما فيه سفهاؤكم، ويشمل عليه حلماؤكم من الأمور العظام ينبت فيها الصغير، و لا يتحاشى عنها الكبير، كأنكم لم تقرؤوا كتاب الله ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته والعذاب الأليم لأهل معصيته، في الزمن السرمدي الذي لا يزول، أتكونون **كمن** طرفت عينه الدنيا و سدت مسامعه الشهوات و اختار الفانية على الباقية، ولا تذكرون أنكم أحدثتم في الإسلام الحدث الذي لم تسبقوا إليه، من تركككم الضعيف يقهر. و يأخذ ماله، ما هذه المواخير المنصوبة والضعيفة المسلوبة في النهار المبصر والعدد غير قليل؟

ألم يكن منكم نهاة تمنع الغواة من دلج الليل و غارة النهار؟ قربتم القرابة، و باعدتم الدين، فتعذرتم بغير العذر، و تغضون على المختلس، كل امرئ منكم يذب عن سفيه صنيع لا يخاف عاقبة، و لا يرجو معادا، ما أنتم بالحلماء وقد اتبعتم السفهاء، فلم يزل بكم ما ترون من قيامكم دونهم، حتى انتهكوا حرم الإسلام، ثم أطرقوا و راءكم كنوسا في مكانس الريب، حرام علي الطعام و الشراب حتى أسوي بها الأرض هدما و إحراقا.

إني رأيت أخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله: لين في غير ضعف، و شدة في غير عنف،وإني أقسم بالله لآخذن الولي بالموصى، والمقيم بالظاغن، والمقبل بالمدبر و المطيع بالعاصي، والصحيح منكم في نفسه بالسقيم. حتى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول: انج سعيد فقد هلك سعيد، أو تستقيم لي قناتكم!

إن كذبة الأمير بلقاء مشهورة، فإذا تعلقتم علي بكذبة فقد حلت لكم معصيتي، فإذا سمعتموها مني فاغتمزوها في، و اعملوا أن عندي أمثالها.[1]

من نقب منكم عليه فأناض من لما ذهب من ماله، فإياي، و دلج الليل، فّإني لا أوتي بمدلج إلا سفكت دمه، و قد أجلتكم في ذلك بمقدار ما يأتي الخير الكوفة و يرجع إليكم

[1] – الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) : البيان و التبيين، ج2،دط، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر الجميع، بيروت، لبنان، 1968 ص 71. ينظر: ابن عبد ربه (أبو أحمد): العقد الفريد، محمد التوبخي، دار المدار، مج 5، ط1، ص 5

و إياي و دعوى الجاهلية فإني لا أجد دعابها إلا قطعت لسانه، و قد أحدثتم أحداثا لم تكن، و قد أحدثنا لكل ذنب عقوبة، فمن غرق قوما غرقناه، و من أحرق قوما أحرقناه ، و من نقب بيتنا نقبنا عن قلبه، ومن نبش قبرا دفناه فيه حيا، فكفوا عني أيديكم و ألسنتكم، أكفف عنكم يدي ولساني، ولا تظهر من أحد منكم ريبة بخلاف ما عليه عامتكم إلا ضربت عنقه وقد كانت بيني و بين أقوام إحنا، ومن كان منكم مسيئا فلينزع عن إساءته إني لما علمت أن أحدكم قد قتله السل من بغضي لم أكتشف له قناعا، ولم أهتك له سترا حتى يبدي لي صفحته، فإذا فعل ذلك لم أناظره، فاستأنفوا أموركم، و أعينوا على أنفسكم، فرب مبتئس بقدومنا سيسر، و مسرور بقدومنا سيبتئس.

أيها الناس، إنا أصبحنا لكم ساسة، و عنكم ذادة، نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا و نذود عنكم بفيء الله الذي خول لنا فلنا عليكم السمع و الطاعة فيما أحببنا، ولكم علينا العدل فيما أولينا، فاستوجبوا عدلنا و فيأنا بمناصحتكم لنا، و تعلموا أني مهما قصرت فلن أقصر عن ثلاث: لست متحجبا عن طلب حاجة منكم، ولو أتاني طارقا بالليل، ولا حاسبا عطاء و لا رزقا عن إبانه، ولا مجمرا لكم عبثا، فادعو الله بالصلاح لأمتكم فإن ساستكم المؤدبون لكم و كهفكم الذي إليه تأوون، ومتى يصلحوا تصلحوا، ولا تشربوا قـلوبكم بغضهم، فيشتـــد لذلك غيظـكم و يطول له حزنكم و لا تدركوا له حاجتكم مع أنه لو استجيب لكم فيه لكان شرا لكم.

أسأل الله أن يعين كلا على كل، إذا رأيتموني أنفذ فيكم لأمر فأنفذوه على أذلاله، و أيم الله إن لي فيكم لصرعى كثيرة، فليحذر كل امرئ منكم أن يكون من صرعاي! "

1- مفهوم الخطبة البتراء

أ- لغة: بتر ، يبتر، بترا، و البتر استئصال الشيء قطعا.

البتر: قطع الذنب و نحوه إذا استأصله.

الأبتر: المقطوع الذنب من أي موضع كان .

- خطبة بتراء:

إذا لم يذكر الله تعالى فيها و لا صلى على النبي صلى الله عليه و سلم.

" و في حديث كل أمر ذي بال يبدأ فيه بحمد الله فهو لأبتر لأي أقطع و البتر معناه القطع." [1]

ب- اصطلاحا:

إن الدارس لعصر صدر الإسلام، يلاحظ أن الخطب كلها تبدأ بحمد الله و الثناء عليه و الصلاة و السلام على رسول الله، و كانوا يفتحون الخطبة بالبسملة و الحمدلة و يعمدون في العرض إلى توظيف الآيات القرآنية: قال الجاحظ: "إن خطباء السلف الطيب، و أهل البيان من التابعين بإحسان مازالوا يسمون الخطبة التي لم تبدأ بالتحميد، ولم تستفتح بالتحميد'بتراء' و يسمون التي لم توشح بالقرآن وتزيين بالصلاة على النبي صلى الله عليه و سلم "شوهاء"". [2]

إذن الخطبة البتراء في مفهومها العام هي الخطبة التي لم تستفتح بالبسملة و الحمدلة و لا الصلاة على رسول الله صلى الله عليه و سلم.

2- مناسبة الخطبة

اختار معاوية بن أبي سفيان زيادا وليا على البصرة، و كانت معقلا للخارجين على الخلافة الأموية و لهذا فقد كانت الفتن و الثورات على بني أمية تنبع منها، فلما وصل زياد إلى البصرة صعد المنبر و ألقى خطبته البتراء.

3- مبادئ زياد في الخطبة البتراء

* لين في غير ضعف، و شدة في غير جبرية وعنف.
* الصدق و البعد عن مواقف الكذب .
* العقوبة الصارمة و الضرب على أيدي العصاة.
* الحرص على المصلحة الجماعية و البعد عن النوازع الفردية.

---

[1] – إبن منظور، لسان العرب، مجلد1، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، مادة بتر، ص 156

[2] –الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر): البيان و التبيين، تح عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، ص 39

* السمع و الطاعة من الرعية و عدالة الحاكم.
* مناصحة الرعية للحكام.
* عدم إهمال الاحتجاب عن الطالبين في أي وقت .
* عدم إهمال الجانب العسكري.
* صلاح الرعب مقياس صلاحية الراعي.

ثانيا- عناصر الخطبة ومضامينها:

تعتبر الخطبة سلاحا المجتمع الإنساني في سلمه و حربه و هي المثل الأعلى الذي تقصد إليه كل الأمم والجماعات والأفراد و لهذا فهي جديرة بالاهتمام و الدراسات، لكونها فن استمالة الجمهور وإقناعه، لتحقيق هذه الأعراض يسيرا الخطيب على خطة ممنهجة تبدأ بمقدمة ثم عرض و تليها خاتمة، هذا التقسيم الشائع، أما أرسطو " فيشمل أربع أجزاء: مقدمة عرض، تدليل، خاتمة ".[1]

حيث يبرز تقسيمه و رأيه بأن الكلام أو القضية تنقسم إلى موضوع و براهين فمن الممكن في بعض الأحيان أن تستغني عن المقدمة و الخاتمة، كما فعل زياد بن أبيه في خطبته البتراء حين ولي البصرة، فكانت مبتورة من المقدمة، و دخل مباشرة في الموضوع بالشتم و التهديد.

و على العموم نحاول في هذا التقسيم أن نقتصر حديثنا بذكر عناصر الخطبة (مقدمة، عرض، خاتمة) بالتفصيل مع التمثيل من الخطبة البتراء لزياد بن أبيه.

1- مقدمة

نسميها افتتاح الخطبة، فهي تعد من أهم أركان الخطبة، لما لها من تأثير كبير لشد انتباه السامعين إلى موضوع الخطبة و لابد من أن يبدأ الخطيب المقدمة بحمد الله و الثناء عليه و الصلاة على النبي محمد – صلى الله عليه و سلم- و قد وصف النقاد القدماء الخطبة التي لا تبدأ بالحمد بـ " البتراء" [2] و هذا ما لاحظنا في الخطبة التي ألقاها زياد فقد

[1] – أرسطو طاليس، فن الخطابة، تح : عبد الرحمان بدوب، لبنان، 1979، ص 45

[2] – أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان و التبيين، ص 6

كانت مبتورة فبدؤها بدون بسملة أو حمدلة، فتجاوزها فضلا عن الأحاديث الدينية التي اعتاد الولاة و الخلفاء على البداية بها، كإحدى السنن المعتادة في الخطب الإسلامية و ذلك لتوحيد الدين و الدولة، و زيادة يوحي بصورة غير مباشرة أن الولاة الأمويين لم يأخذوا الدين في أعماق وجدانهم، بالجد و التقوى الذي كان أسلافهم قد انتهجوه، يظهر أثر نقمته في قوله: " إن الجهالة الجهلاء، والضلالة العمياء " فهو ما ينقل المستمعين من الإسلام إلى أهل النار.

ولم يستخدم في الوعظ آية قرآنية مع إشارته في معرض هجومه عليهم إلى هجرهم إلى كتاب الله : " كأن لم تسمعوا بأي الله لم تقرؤوا كتاب الله و لم تسمعوا ما أعد الله " [1]

و رغم ذلك إلا أننا نلمس في خطبته أسلوبا و معاني الآيات القرآنية و التعاليم الدينية فهو يقول: " أتكونوا كمن طرفت عينه الدنيا و سدت مسامعه الشهوات و اختار الفانية على الباقية " و من خلال هذا يظهر لنا بأنه يملك بلاغة مشبعة بالقرآن الكريم كما تحدث عن الدعوة إلى الإسلام، أيضا بقوله: " فادعوا الله بالصلاح لأئمتكم " و " من كان محسنا فليزدد إحسانا " " أحدثتم في الإسلام الحدث الذي لم تسبقوا إليه " " تغضون على المختلس" و " و لا آخذ داعيها إلا قطعت لسانه "

ومن هنا نستنتج أن مقدمة خطبة زياد احتوت على مضمون ديني، و يحاول أن يظهر للناس بأن له غيرة على الدين و الشرائع الدينية، ولذلك نظير في القرآن الكريم ولله المثل الأعلى في سورة "التوبة" أو "براءة" إنها تتحدث عن وعيد الله للمشركين وغيرهم من المخالفين.

كما أن مصطلح السنة لم يكن معروفا بمفهومه الديني أو مستعملا لذلك لم يرد في خطبة زياد كل ما قاله هو الآيات القرآنية و الكتاب، إذ لم يكن في ثقافة المسلمين وقتها شيء يسمى السنة.

[1] – محمد طاهر درويش، الخطابة في صدر الإسلام، الأموي، دار المعارف مصر، 1967، ص 22

2 – العرض

هو صلب الموضوع والجزء الرئيسي، وفيه يتم عرض أفكار الخطيب للمستمعين والمتلقين ومحاولة إقناعهم بها، من خلال اللفظ المناسب لإيصال المعنى الذي يتواءم مع الجو العام للخطبة. ومن علامات نجاح عرض الخطيب لموضوع الخطبة وحدة الموضوع و قيام الخطيب بجمع الأدلة المؤيدة له، سواء الأدلة المنطقية أو الأدلة التاريخية، و قيامه بتعميق الفكرة و تثبيتها في أفكار المستمعين، و"لا بد من أن يأتي بأدلة واضحة قريبة متصلة بما عرضه في موضوع الخطبة" [1]

فإذا كان الخطيب يعمد إلى التأثير " فإن الجمل القصار أنسب للإقناع و المقصود بالجمل القصار أن لا تكون قصيرة مخلة ولكن وسطا بين الطول و القصر" [2]

و ما يلاحظ في خطبة زياد البتراء أنه تطرق في صلب الموضوع إلى ذكر أخلاق أهل البصرة ومن مسلكهم من ضلال و فساد و معصية الله و استهانة بما أعد الله لأهل الطاعة والمعصية من الثواب والعقاب بقوله:" و لم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته و العذاب الأليم لأهل معصيته"

فالفسق ظاهرا في البصرة عندما أصبح زياد واليا عليها وكثر الانحلال الخلقي و التمرد وأصبحوا يمارسون الفواحش ولا يبتعدون عن المنكر إتباع الشهوات والملذات وذلك من خلال قوله:" وسدت مسامعه الشهوات" وحبهم للدنيا ومفاتنها و نسيانهم للآخرة و الموت و مثال ذلك : " واختارت الفانية على الباقية" وتحدث عن المعاصي المنتشرة مثل قهر الضعيف و العودة إلى إحياء العصبة القبلية ثم تحدث عن العقوبات التي رآها صائبة وحبهم للريبة والفاحشة وتركهم للضعيف يقهر ويؤخذ ماله من خلال قوله: " من تركككم الضعيف يقهر

---

[1] – محمد أبو زهرة، الخطابة أصولها، تاريخها في أزها عصورها عند العرب، ج1، ط1، مطبعو العلوم، القاهرة، مصر، ص 25

[2] – سناء زايدي، بلاغة الإقناع في الخطبة البتراء لزياد بن أبيه، لنيل الماجستير في الأدب العربي، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، 20/06/2009، ص 137

ويؤخذ ماله" " ما هذه المواخير المنصوبة والضعيفة المسلوبة" وتأنيبهم أنهم لم يكن منهم نهاة تمنع الغواة عن دلج الليل، وغارة النهار"

و يتركون المختلس يفعل ما يشاء و يغضون عنه، ويقدمون أعذار بغير عذر فذلك من خلال: " تعتذرون بغير عذر، وتغطون عن المختلس "

فهم يرون أماكن الفسوق تنتشر بينهم دون أن يقاوموا وأصدر عقوبات صارمة رآها صائبة كالفتك بدون أن يميز بين الصالح والطالح، والمذنب والبريء، و ذلك لينتقموا ويتركوا المحرمات والمنكرات والشهوات وذلك من خلال ما أكده بقوله: " تغضون عن النكر" و "نبش قبرا دفناه حيا" "من أغرق قوما أغرقناه" و " ومن أحرق قوما أحرقناه"

وذكرنا هنا بما يتعلق بالجانب الأخلاقي و مضمونه فقد رأى الخطيب أن التهديد قد يأتي بنتيجة و أكد لهم " أنه مبتعدا عن الأحقاد الذاتية و أظهر لهم العدالة في المعاملة "[1] و عند العودة إلى خطبة زياد نلاحظ أنه عني بتأليفها عناية شديدة فهي مقسمة إلى فقر و كل فقرة تشعرنا كأنها وحدة قائمة بنفسها، فقد فصل فيها كل ما يتعلق بالمجتمع، وظروفه و ملابساته ومشكلاته، فأثرت به حينما ولى زياد البصرة لمعاوية بن أبي سفيان وهي تتصل بظروف تحكمت بمعاني الخطبة وألفاظها فالبصرة كانت شفت عصا الطاعة على بني أمية وانحلت فيها رابطة الخلق وعمتها مفاسد الأخلاق لقوله " ما فيه سفهاؤكم ويشتمل عليه حلمائكم من الأمور العظام ينبت فيه الصغير، و لا يحاشى عنها الكبير"

ثم عندما يطمئن زياد أن هذا المجتمع قد استكان أمام صولة الدين و وطأة الذنوب و راح يحسس في قلوبه مواطن الندامة، ثم يبدل ثواب الواعظ و يظهر بلباس الحاكم الذي جاء يمارس صلاحياته و يوغل في العنف والتهديد بقوله: "ما أنتم بالحلماء و لقد اتبعتم السفهاء، فلم يزل بكم ما ترون من قيامكم من دونهم حتى انتهكوا حرمة الإسلام، ثم أطرقوا وراءكم كنوسا في مكانس الريب، حرام علي الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض هدما وإحراقا "

[1] – إيليا الحاوي، فن الخطابة و تطوره، ص 269

ويذكر الناس بما استحدثوا في الإسلام من ذنوب يلزمهم بأمور مثل الكف عن دعوى الجاهلية، وأنذرهم من التمادي في الباطل فقال: " وإني أقسم بالله لآخذن الوالي بالمولى والمقيم بالظاغن والمقبل بالمدبر والمطيع بالعاصي"

ثم يقول في مقطع آخر : " من نقب منكم عليه فأن ضامن لما ذهب من ماله، فإياي ودلج الليل فإني لا أوتي بمدلج إلا سفكت دمه وقد أجلتكم في ذلك بمقدار ما يأتي الكوفة ويرجع إليكم" و " إياي و دعوى الجاهلية فإني لا أجد أحدا دعا بها إلا قطعت لسانه... "

و من هنا نرى أنا زياد تحدث عن خطته لمحاربة الفساد و القضاء عله بإتباعه منهج " لين في غير ضعف، و شدة في غير عنف" و " إني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله"

3- الخاتمة

ففيها يركز الخطيب على الأثر الذي يتركه في أذهان السامعين ففي الخاتمة يظهر نجاح أو فشل الخطيب في السيطرة على عواطف جمهوره، واستمالته له، معنى ذلك إذا وفق الخطيب في إقناع جمهوره المستمع واستمالته ، تكون له حسن الخاتمة، و إذا حدث ذلك تكون سوء الخاتمة.

ويجب على الخطيب أن يحرص على الأثر الذي يتركه لدى مستمعيه، فيمكن أن يكون الاستهلال أو المقدمة حسنة، والعرض أحسن، والخاتمة سيئة وعليه فإن الجمهور له حكم على الكل من خلال حكمه على الجزء الأخير.

و للخاتمة أهمية عظمى، فبإمكان أن يتضح الموضوع بها بأن تكون ملخصا لموضوع الخطبة أو سؤالا مفتوحا.

و الخطباء يحرصون على أن يبرزوا فيها غايتهم من الخطبة بتلخيص ما وصلوا إليه في العرض ليكون الإقناع، بتحريك العواطف و التلاعب بالمشاعر ليتم التأثير والاستمالة لذا " وجب أن تكون واضحة قوية المشاعر، موجزة، فالإيجاز يزيده قوة، ويهبه روعة "[1]

[1] – إيليا الحاوي، مرجع سابق، ص 271

و مثال ذلك في خطبة زياد: " و إذا رأيتموني أنفذ فيكم الأمر فأنفذوه على أذلاله، و أيم الله إن لي فيكم لصرعى كثيرة فليحذر كل امرئ منكم أن يكون من صرعاي "

فالغاية من الخطبة هي الجمهور إما الرفض أو القبول و يجب على الخطيب أن يختم خطبته، بلغة مجازية ساحرة، لأن هذه اللغة تجعلك ترى الأشياء الجامدة ناطقة، والأجسام الميتة حية، فليس هناك قوة تهز، وتحرك إلا إذا كان الشبه مقررا بين شيئين مختلفين في الجنس.

ولهذا قالوا عنها الخاتمة، آخر ما يبقى في ذهن السامع، تبقى له الصورة راسخة مجسدة بأفضل طبق تشتهيه الأنفس ونرى في الخطبة البتراء لزياد بن أبيه أنها في الخاتمة احتوت على مضمون سياسي فقد أراد إخضاع البصريين للحكم الأموي، معلنا بذلك نوع العلاقة التي يجب أن تقوم بين الراعي والرعية أي الحاكم و المحكوم، وأول ما يريد تثبيته في الآذان هو ما للأمويين من حق إلهي في سلطتهم فهم أصبحوا للناس ساسة يسوسونهم بسلطان الله الذي منحهم إياه، فهم خلفاؤه على الأرض، فعلى الناس إذن أن يسمعوا ويطيعوا لقوله: " أيها الناس إنها أصبحنا لكم ساسة.....، نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا، ونذود عنكم بقي الله الذي خولنا، فلنا عليكم السمع و الطاعة فيما أحببنا"

وعلى الحكام أن يعدلوا و مثال ذلك في قوله: " و لكم علينا العدل فيما أولينا"

" إنها شراكة قائمة بين الحكام والمحكوم قوامها التناصح والتعاون بهذا فقط يتحقق العدل بينهما" [1]

كذلك يعلن بعدها أنه لن يقصر عن ثلاث: قضاء حاجاتهم حتى لو أتوه تحت شر الظلام لقوله: " لست متحجبا عن طالب حاجة منكم و لو أتاني طارقا بليل"

و عدم حبسه الجنود في الأرض الأعداء لقوله: " ولا حابسا عطاء"

و إعطائهم الرزق في حينه مثال ذلك قوله: " ولا رزقا عن إبانه"

[1] – جورج غريب، عصر بني أمية، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ص 19

وفي الأخير يعرض قسم صادق أنه يجب على الناس احترام القانون وألا يهددهم بالصراع والويل والتهديد لقوله: " إن لي فيكم لصرعى كثيرة فليحذر كل امرئ منكم أن يكون من صرعاي"

الفصل الثاني

(الخصائص الفنية)

أولا–اللغة

ثانيا–الأسلوب

ثالثا– الصورة

رابعا– البديع

يشمل هذا الفصل الخصائص الفنية و الجمالية في الخطبة البتراء لزياد بن أبيه والتي تتعلق باللغة المستعملة والأساليب الموظفة وصور التعبير وطرق تحسين الكلام المختلفة.

أولا- اللغة

1- لغة

جاء في لسان العرب لابن منظور في باب لغا، " أن اللغة على وزن فعلة من لغوت أي تكلمت، و أصلها لغوة ككرة، وثبة، كلها لاماتها و واوات، و قيل أصلها لغي أو لغو و الهاء عوض لام الفعل، وجمعها لغى مثل برة أو برى و الجمع لغات أو لغون"[1]

« كانت اللغة ولا تزال إحدى القضايا الرئيسية المثارة بصفة متعددة في مجال الأبحاث النقدية ... أو على مستوى الأعمال الأدبية ذلك أن اللغة كائن حي متطور مع الحياة و الواقع ... لأن اللغة في الأدب ليست مجرد تعبير عن معنى محدد من خلال ألفاظ مرصوصة أو قوالب لغوية ، جاهزة بل هي خلايا لفظية و معنوية وعقلية تتفاعل داخل الجسم الحي للعمل الأدبي .» [2]

2- اصطلاحا

عرفها ابن جني بقوله: "أما حدها (اللغة) فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[3]

و عرفها عبد القادر الجرجاني بقوله: " عبارة عن نظام من العلاقات و الروابط المعنوية التي تستفاد من المفردات و الألفاظ اللغوية بعد أن يسند بعضها إلى بعض، و يغلق بعضها البعض، في تركيب لغوي قائم على أساس الإسناد" [4] .

كما أن هناك العديد من العلماء لقدماء الذين عرفوا اللغة بينهم: **إبن خلدون الذي يقول في هذا الشأن:** " اعلم أن اللغة في المتعارف عليه، هي عبارة المتكلم عن مقصوده، و تلك العبارة فعل لساني ناشئ عن قصد بإفادة الكلام، فالبد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها، و هو اللسان و هو في كل أمة بحسب اصطلاحاتها"[5]

---

[1] – أبو الفاضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، باب لغا،ط 3، ج 1، ص 626.

[2] – نبيل راغب ، موسوعة الإبداع الأدبي ، مكتبة ناشرون ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1996 ، ص 290 .

[3] – أبو الفتح عثمان ابن حني، الخصائص، ط 3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج 1، ص 24

[4] – عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، دار الأنفال، الرباط، 1891، ص 23

[3] – عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، ط 1، دار الكتاب العالمية، بيروت، لبنان، ج 1، ص 83

و نجد لغة الخطبة البتراء لزياد بن أبيه شديدة الواقعية مرعبة، مذهلة تخترق القلب و الذهن معا، و قوتها تكمن في التعبير المختصر عنها فالألفاظ القليلة حين تؤدي الصورة القوية تكوم أشد وقعا في النفس " سفكت دمه " ، " ضربت عنقه " و يزيد من أثر الصور المرعب وقع موسيقي عنيف ينبض من السجع المرسل و الفواصل .

3- خصائصها: - " تجتمع بين المفردات في مختلف أنواع الكلمات اسمها، فعلها حرفها" [1] ومثل ذلك من الخطبة: الجهلاء، العمياء، لم، في، سدت، الإسلام، هذه و الليل، رأيت، يصلح، حيث، كان، قد، الرجل، أخاه، أكشف، يزل، أن كلا، كل، امرئ يحذر، صرعاي.

- توظيف المترادفات و مثال ذلك من الخطبة نجد:

النار، السعير- الثواب، الطاعة - الذنب، المعصية - الباقية، الدنيا - قربتم، باعدتم

- استعمال المحسنات اللغوية مثال ذلك:

(الصغير الكبير)، (الفانية الباقية)، (الضعيفة المسلوبة)، (انج سعيد فقد هلك سعيد)

- التنويع بين الأساليب الإنشائية و الخبرية و مثال ذلك من الخطبة:(ألم تكن منكم نهاة)، (أليس كل امرئ). فهنا أسلوب إنشائي نوعه الاستفهام غرضه التقرير.

- التخييل و التصوير : اعتمد زياد الاستفهام الإنكاري و العبارة ذات التقطيع المنفعل بانفعال صاحبها . " ما أنتم بالحلماء و قد اتبعتم السفهاء "

- استعمال العنف و التهديد : مثال ذلك في خطبة زياد " لين في غير ضعف ، و شدة في غير عنف " .

- توظيف الدلالات الزمنية : مثل ذلك " الزمن السرمدي و هو الزمن الدائم و المستمر " " الباقية هي الخلد " ، " النهار : فترة من الزمن " .

- استعمال ألفاظ تحمل عدة حقول دلالية مثل حقل النهي عن الشر بقوله : « ألم تكن منكم نهاة تمنع الغواة من دلج الليل »

حقل " التذكير بالعقاب " بقوله : « و لم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته و العذاب الأليم لأهل معصيته ».

---

[1] - أحمد ابن فارس بن زكريا، الصاحبي في فقه اللغة، و سنن العرب في كلامها، تح مصطفا السويمى، د.ط، مؤسسة بدران للطباعة، بيروت، 1963

– توظيف المؤكدات : و ذلك من خلال قول زياد بن أبيه :« الجهالة الجهلاء و الضلالة العمياء » ، في الفقرة الأولى ، و في الفقرة الثانية « إني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله » ،و التأكيد بإن و القسم و نون التوكيد « و إني أقسم بالله لآخذن الولي بالمولي ».

ثانيا– الأسلوب

1–الأسلوب لغة

فالأسلوب في اللغة من مادة (س . ل . ب) و لقد جاء في لسان العرب سلب :« سلبه الشيء يسلبه سلبا و الاستلاب الاختلاس ، و يقال للسطر من النخيل : أسلوب و كل طريق ممتد فهو أسلوب و قال : و الأسلوب الطريق و الوجه المهذب .» [1]. والطريق، الفن من القول أو العمل، ويقال للطريق من الأشجار وللفن وللمذهب و لشموخ بالأنف و العنق الأسد و يقال لطريق المتكلم في كلامه أيضا.

2– اصطلاحا

هو الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه، و اختيار ألفاظه أو هو الطريقة التي انتهجها المؤلف في اختيار المفرجات و التراكيب لكلامه.

و في البلاغة الواضحة هو المعنى و الموضوع في ألفاظ مؤلفة في صورة تكون أقرب لنيل الغرض المقصود من الكلام الأفعال في نفوس سامية.

«هو المعنى المصبوغ في ألفاظ مؤلفة على صورة تكون أقرب لنيل الغرض المقصود من الكلام و أفعل في نفوس سامعيه »[2]

3– مميزات الأسلوب: من المعروف أن الأسلوب هو طريقة المتكلم الخاصة في اختيار ألفاظه و معانيه، و تأليف كلامه، و التعبير عما يريد نقله إلى السامع من أفكار، و ذلك بالاعتماد على العناصر التالية:

أ– الألفاظ الجزلة الفصيحة: –الجهالة، الصغير، الكبير، سفهاؤكم، حلماؤكم، لم سمعوا لم تقرأوا، الضعيف، المطيع،العدو، الإسلام، الثواب الكريم.

---

[1] – أبو الفاضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، ص 224 .

[2] – مجدي وهبة و كامل المهندس ، معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب ، مكتبة ناشرون ن لبنان ، ط2 ، 1984 ، ص 35 .

ب- المترادفات:العذاب= العقاب، المعصية= الشهوات، الفانية= الدنيا، النار=السعير الثواب=الطاعة، قناعا= سترا.

ج- التكرار:_ الله_ لأهل_ حلماء_ سفهاء_ الإسلام_ ضعف_ أغرق_ أحرق_ قوما_ نقب _ قلبا.

د- توظيف الجمل القصيرة الواضحة

- فإن الجهالة الجهلاء، و الضلالة العمياء.
- كأنكم لم تقرؤوا كتاب الله، و لم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكريم.
- إنه ليس منكم إلا من طرفة عينه الدنيا، و سدت مسامعه الشهوات؟!
- قربتم القربة، و باعدتم الدين تعتذرون بغير العذر.

إنا قد أصبحنا لكم ساسة و عنكم ذادة.

هـ- تنوع الأداء بين الخبر و الإنشاء، و التقرير و النهي و القسم و النداء، و التأثير و التعجب، و الاستفهام:

1- الخبر: والعذاب الأليم لأهل معصية في الزمن السرمدي الذي لا يزول.

- صنيع من لا يخاف عاقبة و لا يرجو معادا، ما أنتم بالحلماء، و لقد اتبعتم السفهاء.
- فلم يزل بكم ما ترون من قيامكم دونهم، حتى انتهكوا حرم الإسلام.
- حرام علي الطعام و الشراب حتى أسويها بالأرض هدما و إحراقا.

2) الإنشاء: - ألم يكن منكم نهاة تمنع الغواة عن دلج الليل، و غارة النهار؟

- و من كان منكم مسيئا فلينزع عن إساءته.
- و أيم الله إن لي فيكم لصرعى كثيرة.
- أيها الناس إنا قد أصبحنا لكم ساسة.

3) صيغ الأمر: أكثر الخطيب زياد بن أبيه، التردد على هذه الصيغة لانسجامها و طبيعة التجربة أو الموضوع الذي يتصدى له و هو يواجه النوعين معا، لأطيع و المعاصي، فكان له من استخدام، صيغ يتسول فيها من ذلك صيغ الأمر مثلا: "فإذا سمعتموها مني فاغتمزوها في ، و اعملوا أن عندي أمثالها"

- "فكفوا عني أيديكم و ألسنتكم، أكفف عنكم يدي و لساني"

– "و من كان منكم مسيئا، فلينزع عن إساءته "

و أيضا صيغ التحذير تتبع بصيغ الأمر مثال ذلك:

– "إن لي فيكم لصرعي كثيرة، فليحذر كل امرئ منكم أن يكون من صراعي فإياي و دلج الليل فإني لا أوتي بمدلج إلا سفكت دمه'

لعل الخطيب زياد بن أبيه لمس أن أهل البصرة قد سنوا بوعوده يرفقه تحذير، فختم بما يردهم إلى الحيطة و الخوف أو أنذرتهم من التمادي في الباطل لأن له فيهم صرعى كثيرة.

فالأسلوب بوجه عام بعيد عن الزخرفة، و التنسيق و التكلف و التصنع، لا يلح على وجوه البيان من إشعارات ، و تشابه و لا يجنح إلى البديع و سائر المحسنات.

4– أنواع الأساليب

أ) الأسلوب الخبري

جاء في كتب البلاغة أن الخبر هو الكلام الذي يحتمل الصدق و هذه نحو قولك: " هو كالأسد بأسا" فقد تكون النية الكلامية المفهومة من هذه الجملة مطابقة لما في الخارج فيكون الخبر صادقا، أو غير مطابقة له فيكون الخبر كاذبا و المخبر به كاذبا.

– و الخبر ما يصح أن يقال لقائله أنه صادق فيه أو كاذبا فإن كان الكلام مطابقا للواقع كان قائله صادقا، و إن كان غير مطابق له كان قائله كاذبا [1]

– و في توجه الكلام إلا المخاطب ثلاث حالات (إضراب) و التي تتماثل فيما يلي:

* **الحالة الأولى:** أن يكون المخاطب خالي الذهن من الخبر، و في هذه الحال يلفت إليه الخبر خاليا من أدوات التأكيد، و يسمى هذا النوع (ابتدائيا) نحو: إحياء زينة الإنسان

* الحالة الثانية: أن يكون مترددا فيه متشوقا إلى معرفة، و في هذه الحال يحسن توكيد الخبر بمؤكد واحد و يسمى هذا النوع (طلبيا) نحو أن الصدق منج.

* الحلة الثالثة: أن يكون منكرا له، و في هذه الحال يجب توكيده بقدر إنكاره قوة و ضعف بمؤكدين أو أكثر، و يسمى هذا النوع (إنكاريا)نحو : قوله تعالى: "إن النفس لأمارة بالسوء"

و من أشد أدوات التوكيد هي : "إن ، أن ، لام الابتداء، نون التوكيد، القسم، أحرف التنبيه، أحرف الزيادة، قد ، أما الشرطية "

[1] – ابن عبد الله شعيب، الميسر في البلاغة العربية علم البيان، و المعاني البديعية، دار الهدى عين المليلة، الجزائر، دت، دط، ص 141

➢ أغراض الخبر : الأصل في الخبر أن يلقى لغرضين و هما:

* الأول: إفادة أن المخاطب الحكم الذي تضمنه الجملة نحو: " كان عمر أعدل الخلفاء بني أمية " تقوله لمن لا يعرف ذلك، و يسمى هذا الغرض، لفائدة الخبر.

* الثاني: إفادة المخاطب أن المتكلم عالم بالحكم، كقولك بصاحبك: " أنت ألقيت قصيدة جميلة في المذياع أمس " و هذا بمعنى على أنك عالم بهذا الأمر و يسمى هذا الغرض (لازم الفائدة. "

– و قد يلقى الخبر لأغراض أخرى تفهم من السياق و أشهرها:

– التنشيط و تحريك المهم – إظهار الفرح والسرور. [1]

– التأسف و التحسر.

– إظهار الضعف.

– الاسترحام و الاستعطاف.

– الفخر.

– التوبيخ و التأنيب.

➢ **الأساليب الخبرية:**

– أما بعد فإن الجهالة الجهلاء، و الضلالة العمياء، و العني بأهله على النار. طلبي

– فائدة الخبر التوبيخ و التأنيب.

– ما فيه سفهاؤكم، و يشتمل عليه حلماؤكم من الأمور العظام ينبت فيها الصغير. إبتدائي

➢ **إظهار الضعف:**

– و لا يتحاش عنها الكبير كأنكم لم تقرؤوا كتاب الله و لم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكبير لأهل طاعته ⟸ ابتدائي ⟸ الإهانة – التأسف و التحسر.

– و العذاب الأليم لأهل معصيته في الزمن السرمدي الذي لا يزول. ⟸ ابتدائي ⟸ التوبيخ و التأنيب

– و لا تذكرون أنكم أحدثتم في الإسلام الحدث الذي لم تسبقوا إليه، من تركككم الضعيف يقهر و يؤخذ ماله. ⟸ طلبي ⟸ التوبيخ و التحسر

[1] – محمد الطاهر اللاوقي، المبسط في علوم البلاغة، المكتب التجاري لطباعة و التوزيع، ط2، 1963، ص 38

– قاربتم القرابة، و باعدتم الدين، تعتذرون بغير عذر، و تغطون على المختلس، كل امرئ منكم يذب عن سفيه. ⟸ ابتدائي ⟸ التوبيخ و التأني .

– صنيع من لا يخاف عاقبة، و لا يرجو معادا، ما أنتم بحلماء، و لقد اتبعتم السفهاء ⟸ طلبي ⟸ التوبيخ و التأني

– فلم يزل بكم ما ترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم الإسلام ⟸ ابتدائي التأسف و التحسر

– حرام علي الطعام و الشراب حتى أسويها بالأرض هدما و إحراقا ⟸ ابتدائي التوبيخ و التأنيب

– إني رأيت هذا الأمر لا يصلح إلا صلح به أوله: لين في غير ضعف و شدة في غير عنف. ⟸ طلبي ⟸ إظهار الضعف

– إن كذبة الأمير بلقاء مشهور فإذا تعلمتم على كذبة فقد حلت لكم المعاصي، فإذا سمعتموها مني فإغتمزوها. ⟸ ابتدائي ⟸ الفخر

– إني لا أوتى بمدلج إلأا سفكت دمه، و قد أجلكم في ذلك بمقدار ما يأتي الخبر الكوفة و يرجع إليكم ⟸ طلبي التهديد

– و قد أحدثتم أحداثا لم تكن و قد أحدثنا لكل ذنب عقوبة. ⟸ إنكاري ⟸ التوبيخ

– فمن غرق قوما أغرقناه، و من أحرق قوما أحرقناه، و من نقب بيتا نقبنا عن قلبه، ومن نبش قبرا دفناه حيا فيه. ⟸ طلبي ⟸ التوبيخ و التأنيب و التهديد

– أكفت عنكم يدي و لساني و لا تظهر من أحدا منكم ريبة يخالف ما عليه عامتكم إلا ضربت عنقه ⟸ طلبي ⟸ تحريك الهم و وعيد

– و قد كانت بيني و بين أقوام احسن فجعلت ذلك دير أتي و تحت قدمي ⟸ طلبي ⟸ فائدة الخبر

– إني لو عملت أن أحدكم قد قتله السل من بغضي لم أكتشف قناعه، و لم أهتك له سترا حتى بيدي لي صفحته. ⟸ إنكاري ⟸ استرحام

– فإذا فعل ذلك لم أناظره. ⟸ ابتدائي ⟸ توبيخ و تأنيب

– غرب مبتئس بقدومنا سيرا و مسرورا بقدومنا سيتستس. ⟸ ابتدائي ⟸ إظهار التأسف

– لست محتجبا عن طالب حاجة منكم و لو أتاني طارقا بالليل، و لا حابسا عطاء و لا رزق عن إيانه و لا مجمرا لكم بعثا." ⟸ ابتدائي ⟸ الفخر

– و إذا رأيتموني أنفذ فيكم الأمر فأنفذوه على أذلاله. ⟸ طلبي ⟸ فائدة الخبر

ب) الأسلوب الإنشائي

مالا يصح أن يقال لصاحبه أنه صادق فيه أو كاذب.

➢ الإنشاء هو "الكلام الذي لا يحتمل الصدق و الكذب لذاته، و ذلك لأنه ليس فيه تقرير أو وصف و ليس لمدلول لفظه قبل النطق به و وجود خارجي يطابقه أولا يطابقه "

➢ **أقسام الإنشاء: ينقسم الإنشاء إلى قسمان و هما:**

1. **الإنشاء الطـــبي**:و هو ما يستدعي مطلوبا غر حاصل في وقت الطلب، و أهم أنواعه خمسة و هي كالأتي:

* الأمر: هو طلب حصول الفعل من جهة أعلى غير حاصل على وجه الإلزام، و هذا هو المعنى الحقيقي للأمر

* النهي: و هو طلب الكف عن الفعل، أو الامتناع عنه ، على وجه الاستعلاء و الإلزام مثل قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾

* الاستفهام: تتداخل مباحث الأصوليين و المناطق في مفهومه، مما لا يقدم في المبحث البلاغي، لقولهم عنه بأنه طلب الحصول في الذهن، و المطلوب حصوله في الذهن، إما أن يكون حكما يشيد على شيء، أو لا يكون، و الأول هو التصديق، و يمتنع من التصديق ثم المحكوم به و إما أن يكون نقي أو الانتقاء

* التمني: نوع من الإنشاء الطلبي و قد عرفه الدين التفتازاني بقوله: "التمني هو طلب حصول شيء على سبيل المحبة "

* النداء: هو الطلب الإقتبال بحرف نائب مناب أدعو –لفظا– مثال "يا إبراهيم" أو تقدير كقوله تعالى: ﴿**يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا** ﴾و أما الإقتبال فمطلوب بطريقة اللزوم، لأن الإنسان إنما يدعي للإقبال.

➢ **الإنشاء غير الطلبي:**

فهو ما لا يستدعي مطلوب، و له أساليب و صيغ كثيرة منها:

* المدح و الذم: مثل نعم، بئس، و حبذ، و لاحبذا.

* التعجب: و هو التفضيل شخص من الأشخاص و أو غيره على أضرابه في وصف من الأوصاف و التعجب يأتي قياسيا بصيغتين على وزن –ما أفعله–و أفعل به.

* القسم: و يكون بأحرف ثلاث يجر ما بعدها و هي الباء/ و الواو، التاء، كما يكون بالفعل " أقسم"

* الرجاء: و يكون بحرف واحد و هو لعل، و بثلاث أفعال و هي: عسى، حرى إخلولق

* صيغ العقود: من نحو قولك: يغث، اشتريت، وهبت.

الأساليب الإنشائية

– أن تكون كمن طرفت عينه الدنيا، و شتت مسامعه الشهوات و اختار الفانية على الباقية. ⟸ طلبي صيغة الاستفهام ⟸ غرضه البلاغي اللوم و العتاب التعجب و الإنكار

– ما هذه المواخير المنصوبة و الضعيفة المسلوبة في النهار المبصر و العدد غير⟸ قليل؟ طلبي الاستفهام ⟸ اللوم و العتاب

– ألم يكن منكم نهاة تمنع الغواة عن دلج الليل، و غاراة النهار؟ ⟸ طلبي ⟸ الاستفهام اللوم و العتاب التقرير

– ثم أطرقوا ورائكم كنوسا في مكانس الريب⟸⟸ طلبي ⟸ الأمر التشجيع

– و إني أقسم بالله لآخذن الوالي بالموالي و المقيم بالظاغن، و المقبل بالمدبر، و المطيع بالعاصي، و الصحيح منكم في نفسه⟸بالسقيم ⟸غير طلبي ⟸ القسم التهديد و الوعيد

– حتى يلقي الرجل منكم أخاه فيقول: أنج سعد فقد هلك سعيد، فقد هلك سعيد أو تستقيم لي قناتكم ⟸ طلبي أمر تهديد و طلب النجدة

– في و اعملوا لأن عندي أمثالها، من نقب منكم عليه فأنا ضامن لما ذهب من ماله طلبي أمر ⟸ فخر

– فإياي و دلج الليل فإني لما أوتي بمدلج إلا سفكت دمه. ⟸ طلبي نهي وعيد

– و إياي و دعوى الجاهلية، فإني لا أجد أحدا دعابها إلا قطعت لسانه. ⟸ طلبي نهي التهديد

– فكفو عن أيديكم و ألسنتكم، أكف عنكم يدي و لساني⟸طلبي أمر ⟸ تهديد المن و التحذير

– فمن كان منكم محسننا فليزدد إحسانا. ⟸طلبي أمر تشجيع

– و من كان منكم مسيئا فليسترع عن إساءته. ⟸طلبي نهي ذم

– فاستأنفوا أموركم، و أعينوا على أنفسكم.⟸ طلبي أمر ⟸تشجيع

– أيها الناس، إنا أصبحنا لكم ساسة، و عنكم ذادة، نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا و نذود عنكم بغيء الله الذي حولنا ⟸طلبي نداء توضيح

– فاستوجبوا عدلنا و فيئنا يمنا صحتكم لنا. ⟸ طلبي أمر اختيار

– و اعلموا أني مهما قصرت عنه فلن أقصر عن ثلاث⟸طلبي أمر توضيح

– فادعوا الله بالصلاح لأمتكم، فإنهم ساستكم للمؤدبون و كهفكم الذي إليه تأوون و متى يصلحوا و تصلحوا. طلبي أمر تشجيع.

– و لا تشربوا قلبيكم بغضهم فيشتد لذلك غيظكم ، و يطول له حزنكم. طلبي نهي إرشاد

– و لا تدركوا له حاجتكم مع أنه لو استجيب لكم فيهم لكان شرا لكم. طلبي أمر توضيح

– أسأل الله أن يعين كلا على كل. ⟸طلبي ⟸ دعاء ⟸ تمني

– وايم الله إن لي فيكم لصرعى كثيرة. ⟸ غير طلبي ⟸ قسم تهديد

– فليحذر كل إمرئ منكم أن يكون من صرعاي.⟸طلبي نهي تهديد و وعيد

ثالثا – الصورة الفنية

إن مصطلح الصورة أثار جدلا كبيرا في الأوساط النقدية والأدبية وذلك راجع لاختلاف استخدامه من طرف الأدباء و النقاد بين القدامى و المحدثين .

فقد عرفها أبو هلال العسكري أنها : « تعني الشكل المجسد الذي تتخذه المعاني عن طريق الألفاظ لتحسن هذه الصورة ، إذا احتل كل لفظ مكانه الصحيح من النظم و أن أختل نظم الكلام ، شوهت الصورة وتغيرت الحلة.»[1]

أما إحسان عباس عرفها بقوله :« الصورة هي جميع الأشكال المجازية .» [2]

وقد تنوعت الصورة البلاغية بين:

أ- الاستعارة:

فهي ضرب من المجاز اللغوي و علاقة المشابهة تعمل على نقل اللفظ من معناه الذي عرف ووضع له إلى معنى أخر تم يعرف بيه من قبل وذلك لوجود تشبيه بين المعنى الحقيقي و المعنى المجازي ووجود

قرينة تمنع من إيراد المعنى الحقيقي، و الاستعارة المكنية، ما حذف فيه المشبه به »[3]

أما إذا اردنا الحديث عن هذا النوع من الصورة البلاغية وتجليه في نص الخطبة ، نجده من خلال قوله:« طرفت عيناه الدنيا وسدت مسامعه الشهوات »

استعارة مكنية بين فيها انصراف أهل البصرة إلى الدنيا ومتاعها وفيه تحقير لهم. والقرينة الدالة على ذلك الدنيا والشهوات

وكذلك قوله:« ثم اطرقوا وراءكم كنوسا من مكانس الريب ».

استعارة مكنية حيث شبه الخطيب زياد بن أبيه الفساق المستتيرين في الطرقات في الظلمة وهو شئ معنوي بشئ مادي ملموس وهو الظبي تم حذفه وجيء بشيء من لوازمه وهو الكنوس .

نفس الشئ من خلال قوله: «كهفكم الذي إليه تأوون »

استعارة مكنية فقط شبه الحكام بالحيوان الذي يأوي في الكهوف فبحكم بلاغة وفصاحة زياد بن أبيه انعكس هدا الأمر في خطبته ، ذلك أن بلاغة الاستعارة تتجلى في تجسيد المعنوي في صورة المحسوس المادي ، زيادة في جمالية المعنى و الإيجاز الذي يهدف إلى محاربة الملل و عدم الانتباه ، و هذا لقول عبد القاهر الجرجاني : « إن شئت أرتك المعاني

---

1 – أبو هلال العسكري ، المناعتين (الكتابة و الشعر) مطبعة اليابي ، القاهرة ، مصر ، ص 16 .

2 – إحسان عباس ، الشعر، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ،1997 ، ص.238

3–عيسى بالطاهر، البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات، دار الكتاب الجديد، ط2002،2 ص47.

زياد بن ابيه ،الخطبة البتراء ، ص1

التي هي خبايا العقل كأنها قد جسمت حتى تراها العيون و إن شئت لطفت الأوصاف حتى تعود روحانية لا تنالها الظنون .» [1]

ب – الكناية :

عرفت منذ القدم لدى البلاغين من بين هذه التعريفات نذكر منها القزويني بقوله : « هي لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إيراد معناه كقوله : فلان طويل النجاد »[2] . كناية عن طول القامة .

و قد تجلت الكناية في خطبة زياد بن أبيه في قوله : " أتكونون كمن طرفت عينه الدنيا" كناية عن الاستمتاع بالدنيا و تفضيلها على الآخرة .

الضعيفة المسلوبة : كناية عن المرأة التي تتعرض للاختطاف .

ذلك أن بلغة الكناية تسوق لمعرفة خباياها ثم تنتقل إلى الواقع فتقرب من الحقيقة ، كما نلاحظ قلة الكناية فهو ابتعد عن الواقع فتقرب من الحقيقة ، كما نلاحظ قلة الكناية فهو ابتعد عن التلميح و عمد الأسلوب المباشر لعز النفوس و إثارة العقول و القلوب .

ج – المجاز : و هو نوعان :

* المجاز العقلي : هو إسناد الفعل لغير فاعله الحقيقي لوجود علاقة بينه و بين الفاعل الحقيقي كالمكان و الزمان و لامفعولية .

* المجاز المرسل : هو استعمال اللفظة في غير ما وضعت له لوجود علاقة بينهما كالمحلية و الحالية و السببية و المسببة و اعتبار ما كان والكلية.

و قد تجلى المجاز في خطبة زياد من خلال قوله : " الضلالة العمياء " مجاز عقلي علاقته الحالية حيث أسند العمى للضلالة و أراد أصحابها .

و كذلك قوله "الذي لا يزول "مجاز مرسل علاقته اعتبار ما يكون و هي توحي بالاستمرارية .

و هنا تكمن بلاغة المجاز في انشغال ذهن المتلقي بالبحث و التأمل و إثارة الفضول فيثير ذلك فيه الإعجاب و الدهشة و متعة الاكتشاف و الإحساس .

---

1 – أحمد مصطفى المرغي : علوم البيان ، البديع ، المعاني ن دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط4 ، 2002 ، 256 .

2 – الخطيب القزويني ، الايضاح في علوم البلاغة (المعاني ، البيان ، البديع) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ص 330 .

د – التشبيه

هو الربط بين شيئين ارتبطا في صفة واحدة أو أكثر و أركانه المشبه و المشبه به ن أداة التشبيه في خطبة زياد بقوله : " أتكونون كمن طرفت عينه الدنيا "

فشبههم هنا في غيهم و عماهم بالذي دخل عينه شيء أعاقها عن الإبصار .

و أثر هذا التشبيه يكمن في زيادة المعنى قوة ووضوحا .

رابعا– البديع

يراد به الطرق المختلفة التي يلجأ إليها الأدباء والشعراء لتحسين الأسلوب، وهي متعلقة بالجانب الموسيقي في النص والنغم الخفي الذي نحسه النفس عند قراءتنا الآثار الأدبية الممتازة شعرا ، أم نثرا و يحدث نغما يبعث على الحماس أو الحزن و الكآبة أو يثير فينا الحنان.

وذلك ما نسميه المحسنات المعنوية أو اللفظية التي تكسب الخطاب قيمة فنية من جهة وتعمل على التأثير في نفوس السامعين من جهة أخرى.

أ– الحسنات المعنوية

1–الطباق

ويطلق عليه أيضا التطبيق و المطابقة و النضار وهو :« الجمع بين معنيين متضادين ، أو هو الجمع بين الشيء وضده مثل البياض والسواد والليل و النهار» [1]

فالطباق إذن هو الجمع بين الضدين في الكلام شعرا ونثرا ، وقد تجلى الطباق في خطبة زياد في عدة مواضع جاءت ممتزجة بين النوعين (السلب و الإيجاب)

(حلماؤكم ≠ سفهائكم)،(الصغير≠ الكبير) ،(الفانية≠ الباقية) ، (الليل ≠ النهار) (قربتم ≠ باعدتم)،(المقيم ≠ الظاغن)،(المقبل≠ المدبر)، (الصحيح≠ السقيم) ،(الثواب≠ العذاب) ،(الطاعة ≠ المعصية)

فقد زاوج زياد بين هذا وذاك – طباق سلبي و طباق الإيجاب –عهد فالخطيب لم يعتمد إلى استصغار مثل هذه المحسنات وتوسيع خطبته بها لكنها جاءت ارتجالا، فهو عهد إليه

1 – شكري صلاح أمين ، البلاغة ،العربية في ثوبها الجديد–علم البديع ، دار العلم الملايين، يروت لبنان، ج3ن ط5 ،1999 ، ص43

هذا الأسلوب البديعي لضرورة إيضاح المعني و توصيلها إلى النفوس في صورة جميلة لأن الأشياء تتميز بأضدادها و هذا هو غرض الطباق البلاغي ، فالكلام البليغ لا يخلو من هذا الأسلوب و كيف يخلو كلام زياد بن أبيه من هذا الأسلوب و هو يمتلك هذا الكم الهائل من البلاغة .

2-المقابلة

« أكثر ما جيء في الأضداد ، فإذا جاوز الطباق ضدين كان مقابلة .» [1]

فهي تهدف إلى وضع السامع في موقع المطلع على شتى زوايا الطرح المعروض عليه .

و ذلك في خطبته : (قربتم القرابة و باعدتم الدين) ، (لين في غير ضعف و شدة في غير عنف)

(الثواب الكريم لأهل طاعته و العذاب الأليم لأهل معصيته) .

« فرب مسوء بقدومنا سيسر ، و مسرور بقدومنا سنسوؤه »

« فلنا عليكم ... لكم علينا »

و بلاغة المقابلة جاءت لأجل تأكيد المعنى و إثباته و ترسيخه في العقول و القلوب للعمل بها من خلال هذه المقابلات يوصي بتقوى الله و العمل بطاعته .

ب – المحسنات اللفظية

و هي المحسنات التي تهدف إلى تحسين اللفظ لا المعنى ومن المحسنات اللفظية :

1 – الجناس: هو تشابه اللفظتين في النطق و اختلافهما في المعنى ، و هذان اللفظان المتشابهان نطقا المختلفان معنى يسميان" ركني الجناس " و هو الجناس التام و هو ما يتجلى في قوله : (المنصوبة ، المسلوبة) (نهاة ، غواة)

أما الجناس الناقص : « فهو ما اختلفت لفظتاه في ترتيب الحروف أو عددها أو جنس الحروف

أو حركاتها .» [2]

و ذلك بقوله : (قربتم ، القرابة) ، (أحدثتم ، الحدث) ، (كنوس ، مكانس)

---

1 – عبد العزيز عتيق ، علم البديع ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، 1985 ، ص 195 .

2 – عبد العزيز عتيق ، علم البديع ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، 1985 ، ص 195 .

3 – عيسى بالطاهر ، البلاغة العربية مقدمات و تطبيقات ، ص 323

و للجناس إيقاع و أثر صوتي جميل بسبب تكرار الحروف ، فهو يعمل على تنشيط و طرد الملل و شد الأسماع ، و يسهم إسهاما كبيرا في إيضاح المعنى .

2 – السجع

السجع هو تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد وهذا هو معنى قول السكاكي:

« السجع في النثر كالقافية في الشعر .»

و السجع فن بلاغي قديم ، فقد ورد في كلام العرب في الجاهلية و كان حضوره واضحا في القرآن الكريم و كلام النبى – ص – لقوله : ﴿ اللهم أعط منفقاً خلفاً وممسكاً تلفاً ﴾[1]

و نحن كدارسين نلمس هذا النوع من الفن الخطابي في فقرات من قوله :

كأن لم تسمعوا بآي الله

و لم تقرؤا كتاب الله

و لم تسمعوا ما أعد الله

من الثواب الكريم لأهل طاعته

و العذاب الأليم لأهل معصيته

ينبت فيها الصغير

و لا يتحاشى منها الكبير

و قوله أيضا :

غرق قوما غرقناه

و من حرف قوما حرقناه

و من نقب بيتا نقبناه عن قلبه

من حلال قوله نستنتج أن السجع هو توافق الحروف الأخيرة من مواضع الوقف في النثر ، مما يكسب الكلام حسنا و جمالا و يمنحه الفصاحة و البيان و حلاوة الإيقاع و عذوبة الموسيقى بحيث تستأنس له الأذن ، و جمال هذا المحسن اللفظي يكمن في بعده عن التكلف و التصنع .

و نلاحظ من خلال دراسة هذا النص أن السجع سيطر على كامل أجزاء الخطبة على خلاف المحسنات الأخرى.

1– عيسى بالطاهر ، البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات ، ص 323

فيما يخص دراستنا الفنية للخطبة من ناحية الصورة البيانية و المحسنات بنوعيها لاحظنا أن : كل المحسنات و الصور تشكل بنية فنية جمالية نثرية إبداعية في النص الخطابي .

خاتمة

في النهاية هذا البحث توصلنا إلى أن النتائج الآتية :

– تعتبر الخطابة نوعًا شفويًا يهدف إلى الإفهام و الإقناع عن طريق اللغة و الأداء الجيد ، وذلك أن الخطيب العربي يراعي المقام الذي تصاغ فيه الخطب .

– تعدد موضوعات الخطابة العربية وذلك حسب أغراضها و مناسبتها فنجد الخطابة السياسية التي تحث على الجهاد و القتال، كما نجد موضوعات دينية تهدف إلى بث القيم وتعاليم الدين الإسلامي، وأخيرا نجد الموضوعات الاجتماعية كالتعزية و التهنئة ، وخطاب الحرب .

– تطور الخطابة عبر العصور الأدب العربي لحاجة الخطباء إليها لإقناع جمهور المستمعين .

– الخطبة البتراء لزياد بن أبيه ذات طابع سياسي يحث على القتال و الجهاد .

– أسلوب زياد بن أبيه في خطبته مزيج بين الأساليب الخبرية و الإنشائية لكن طغى عليها الأسلوب الإنشائي أكثر .

– استعمال زياد بن أبيه بكثرة الألوان البديعية التي جاءت عفويا المتمثلة في الطباق والمقابلة، والهدف وراء ذلك ترسيخ الصورة في ذهن السامع كأنها يراها، استخدمك الصور البيانية، استخدامه للأمثال (انج سعيد فقد هلك سعيد)

– تضمنت الخطبة مجموعة من الأفكار الرئيسية هي :

توبيخ لأهل البصرة بسبب تعاونهم مع الفتنة ، الانحراف عن هدي الله ، زجر و تعنيف التنديد بالجرائم التي ابتكرها البصريون .

السياسة التي سيتبعها الوالي

– خصائص أسلوب زياد بن أبيه :

فصيح الألفاظ والتراكيب ، جزل محكم، مؤثر في النفوس .

الملخص

الملخص

تمثلت خطة هذا البحث: الموسوم ب: الخطبة البتراء لزياد بن أبيه في المضامين والسمات الفنية في:

مدخل تضمن مفهوم الخطابة، تطورها، أنواعها ولمحة عن حياة زياد بن أبيه. وفصل أول عنوانه : مضامين الخطبة، تناولنا فيه أجزاء الخطبة من مقدمة، عرض، خاتمة.

وفصل أخير موسوما ب : السمات الفنية، عالجنا فيه سمات كل من اللغة، الأسلوب، والصور الفنية ، والمحسنات البديعية.

وختمنا البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج المتوصل إليها.وخاتمة لأهم النتائج .

الكلمات المفتاحية : الخطابة، زياد بن ابيه، الخطبة البتراء، المضامين، السمات الفنية

SUMMARY

THE PLAN OF THIS RESEARCH WA :

TAGGED WITH : THE PETRA SERMON BY ZIYAD BIN ABIYEH IN CONENT AND ARTISTICFEATUES

IN AN INTODUCTION THAT INCLUDED THE CONCEPT OF PUBLIC SPEAKING ITS DEVELOPMENT,TYPES, AND A GLIMPSE INTO THE LIFE OF ZIYAD BIN ABIH

THE FIRST CHAPTER IS ENTITLED : HE CONTENTS OF ÇEMON IN IT, WE DEAL WITH THE PARTS O THE SERMON, INCLUSION

AND A FINAL CHAPTE TAGGES WITH : ECHNICAL FEATUES AND NOUNS, PICTUES INNER MUSIC

A

ND ACONCLUSION O THE MOST IMPORTANT RESULTS

KEYWORD : PUBLIC SPEAKING, ZIYAD BIN ABIH, PETRA SERMON, CONTENT, ARTISTIC FEATURES.

قائمة المصادر و المراجع

- **قائمة المصادر :**

1. الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) : البيان و التبيين، ج2،دط، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر الجميع، بيروت، لبنان، 1968 ص 71. ينظر: ابن عبد ربه (أبو أحمد): العقد الفريد، محمد التوبخي، دار المدار، مج 5، ط1

- **قائمة المراجع :**

الكتب :

2. ابن حبيب : المحبر ، تح : ايليزة ليختن شكيكر ،دار الآفاق الجديدة ،بيروت ،ج1 ،د.ط،1361.
3. ابن سعد ،الطبقات الكبير ، تح علي محمد عمر ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، مصر ، ج7،ط1، 2005.
4. ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الاصحاب تح ، محمد البجاوي ،مكتبة نهضة القاهرة مصر ،1992.
5. ابن عبد الله شعيب، الميسر في البلاغة العربية علم البيان، و المعاني البديعية، دار الهدى عين المليلة، الجزائر، دت، دط
6. –ابن الفقيه : البلدان ، تح :يوسف الهادي ،عالم الكتب بيروت ، ج1،ط1 ،1996.
7. أبو الفتح عثمان ابن حني، الخصائص، ط 3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج 1.
8. أبو هلال العسكري ، المناعتين (الكتابة و الشعر) مطبعة اليابي ، القاهرة ، مصر.
9. أبي نصر الفارابي ،احصاء العلوم ،تح:عثمان أمين ،دار الفكر العربي ،مصر.
10. إحسان النص ،الخطابة العربية في عصرها الذهبي ،دار المعارف القاهرة ،مصر ،د.ت.
11. إحسان عباس ، الشعر، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ،1997 .
12. أحمد ابن فارس بن زكريا، الصاحبي في فقه اللغة، و سنن العرب في كلامها، تح مصطفا السويمى، د.ط، مؤسسة بدران للطباعة، بيروت، 1963
13. أحمد الهاشمي ،جواهر الأدب العربي ج1،ط 1 ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ،د.ت .

14. أحمد حسن الزيات : تاريخ الأدب العربي ، دار النهضة ،مصر للطبع و النشر ، الفجالة ، القاهرة ،مصر ، م1 ، ط 14 ، 2011 .
15. أحمد محمد الحوفي ، فن الخطابة ،ط4،دار النهضة للنشر ،القاهرة ،مصر .
16. أحمد مصطفى المرغي : علوم البيان ، البديع ، المعاني ن دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط4 ، 2002 .
17. ارسطو طاليس :فن الخطابة ،نح:عبد الرحمان بدوب ،دار القلم ،بيروت ،لبنان ،1779.
18. البلاذري : انساب الأشراف ، تح :إحسان عباس ، بيروت ، جمعية المستشرقين الألمانية ، ج1،د.ط،1979
19. الخطيب القزويني ، الايضاح في علوم البلاغة (المعاني ، البيان ، البديع) ، د ار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان.
20. الدينوري : الأخبار الطوال ، تح:عبد المنعم عاصر ، دار احياء الكتاب العربي ، القاهرة ، مصر ،ج1،ط1 ،1960.
21. الطبري : تاريخ الرسل و الملوك ، تح : محمد أبو الفضل ابراهيم ،دار المعارف بمصر ،ج3،ط2 ،1119.
22. بشير الشريف البرغوثي ، فن الخطابة العربية ، دار النشر ، عمان الأردن ، 2007 .
23. حنا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم) ط1،دار الجيل بيروت ،لبنان ،1986.
24. خليفة بن خياط :تاريخ ،تح :أكرم ضياء العمري ،دار القلم مؤسسة الرسالة ،دمشق ،بيروت ،ج1،ط2 ،1397.
25. سالم معوش ،القواعد المعرفية في أدب صدر الإسلام العربية ،د.ر النهضة ،ط2000،1.
26. شكري صلاح أمين ، البلاغة ،العربية في ثوبها الجديد–علم البديع ، دار العلم الملايينن، يروت لبنان، ج3ن ط5 ،1999
27. شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، صدر الإسلام .

28. صالح محمد الرواضية : زياد بن أبيه و دوره في الحياة العامة في صدر الإسلام جامعة مؤتة ،ط1 ،1994.
29. عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، ط 1، دار الكتاب العالمية، بيروت، لبنان، ج 1
30. عبد العزيز عتيق ، علم البديع ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، 1985 .
31. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، دار الأنفال، الرباط، 1891
32. علي الفتلاوي ، رسالة في فن الإلقاء و الحوار و المناظرات .
33. عيسى بالطاهر ، البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات، دار الكتاب الجديد، ط2 ،2002.
34. محمد أبو زهرة ، الخطابة أصولها تاريخها في أزهى عصورها عند العرب ، دار الفكر العربي القاهرة ، ط1.
35. محمد الطاهر اللاوقي، المبسط في علوم البلاغة، المكتب التجاري لطباعة و التوزيع، ط2، 1963
36. محمد طاهر درويش، الخطابة في صدر الإسلام، الأموي، دار المعارف مصر، 1967
37. محمد عبد المنعم خفاجي ، الحياة الأدبية في صدر الإسلام ، دار الكتب ، بيروت ، لبنان ، 1980
38. الجاحطمحمود بن عمر الزمخشري ، أساس البلاغة ،ج1، د.ط، دار النفائس، بيروت، لبنان .
39. نبيل راغب : موسوعة الإبداع الأدبي ، مكتبة لبنان ناشرون ، لبنان ، ط1 ، 1984 .
40. –الماوردي :الأحكام السلطانية ،تح ،أحمد جاد ،دار الحديث القاهرة ،مجلد واحد ، د.ط،2006.
41. –إميل ناصف ، اروع ما قيل في الخطب ، دار الجيل ، بيروت ، ط1 ، 1999.
42. –جورج غريب، عصر بني أمية، دار الثقافة، بيروت، لبنان

43. هنري لامنس : دائرة المعارف الإسلامية ،مادة " زياد ابن أبيه" تأليف منسك و آخرون ،دار الشعب ،مجلد 6 ط 2ن1969 .

المعاجم و القواميس :

44. ياقوت عبد الله الحموري ، معجم البلدان ، دار إحياء التراث العربي ،بيروت ، ج 4 ، د.ط ، 1979.

45. جمال الدين ابن منظور، لسان العرب ،ج1، د.ط، دار المكتبة العلمية، بيروت، لبنان .

46. –مجد الدين الفيروز آبادي ،القاموس المحيط ،ج1،مطبعة بولاق ،مصر.

رسائل جامعية :

47. سناء زايدي، بلاغة الإقناع في الخطبة البتراء لزياد بن أبيه، لنيل الماجستير في الأدب العربي، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، 20/06/2009

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
الشكر و العرفان	2
الإهداء	3
المقدمة	5
المدخل : الخطابة و زياد بن أبيه	
المبحث الأول : الخطابة	8
أ – اللغة	8
ب – الإصطلاح	9
الخطابة في الأدب العربي القديم	9
الخطابة في العصر الجاهلي	9
أنواع الخطابة في العصر الجاهلي	10
الخطابة الحفلية	10
الخطابة في صدر الإسلام	11
أنواع الخطابة في صدر الإسلام	12

الخطب السياسية	12
الخطب الدينية	13
الخطابة في العصر الأموي	13
أنواع الخطابة في العصر الأموي	14
الخطابة السياسية	14
الخطابة الدينية	15
خطابة الإستخلاف و الولاية	15
المبحث الثاني : ترجمة لزياد بن أبيه	15
نسبه	15
ولادته	16
نشأته و حياته	18
أهم أعماله في العصر الراشدي	18
زياد في عهد الخليفة علي بن أبي طالب	21
الفصل الأول : مضامين الخطبة	
أولا- بين يدي الخطبة	24
1 - مفهوم الخطبة البتراء	25

لغة	25
إصطلاحا	26
2 – مناسبة الخطبة	26
3 – مبادئ زياد في الخطبة البتراء	26
ثانيا– عناصر الخطبة ومضامينها	27
أ – مقدمة	27
ب – العرض	29
ج – الخاتمة	31
الفصل الثاني : السيمات الفنية	
أولا–اللغة	35
الإصطلاح	35
خصائصها	36
ثانيا – الأسلوب	37
اللغة	37
الاصطلاح	37
مميزات الأسلوب	37

أنواع الأسلوب	39
أ – الأسلوب الخبري	39
ب – الأسلوب الإنشائي	41
ثالثا – الصور الفنية	45
أ – الإستعارة	45
ب – الكناية	46
ج – المجاز	47
د – التشبيه	47
رابعا – البديع	47
أ – المحسنات المعنوية	47
1 – الطباق	47
2 – المقابلة	48
ب – المحسنات البديعية	48
1 – الجناس	48
2 – السجع	49
خاتمة	52

ملخص البحث	54
قائمة المصادر و الراجع	56
فهرس المحتويات	61